عدد ٦

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

المجلد الخامس	صدرت في جمادى الاولى ١٣٦٣ وفي ماي ١٩٤٤	الجزء السادس

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المدير

محمد الشاذلي ابن القاضي

المراسلات :

ترسل باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب مستمر بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

الثمن ١٠ فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط رقم ٥٧ - تونس

المجلد الخامس — **فهرس العدد** — الجزء السادس

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ١٠٠

« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ١١٠

مجلد المجلة عشرة اعداد

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية تكون معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ تونس



مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء السادس	الصادر في جمادى الاولى ١٣٦٣ وفي ماي ١٩٤٤	المجلد الخامس

منطق الحجر

سرى الدفء، في كل جسم مقرور، وانشرحت كل نفس كانت منقبضة لما حكم به البرد من ملازمة كسور البيوت والانجحار في زوايا الدكاكين، لما اشرقت الشمس في اصيل يوم من ايام الشتاء، فبعثت النشاط للحركة. واحيت الشره على النزهة. حتى انجهت كل عاطفة حساسة الى ما وراء سور المدينة حيث النعمة بالحياة الواسعة، والمتعة بالشمس الزاهية؛ ولكن كيف؟ ولظرف الزمان حكمه القاهر!!! هذا جيش الظلمة في طريق الفتح، لا تمضي ساعة او بعض ساعة الا وهو مستو على عرش الافق. فما الحيلة؟ وكيف ندرك مملكة هذا السلطان الباهر قبل ان تدول دولته؟

ولعل الاشعة الوضاءة الهاجمة من منفذ البيت الضيق. كانت تدخل الى قرارة النفس المحتارة بعض ما فيها من اسرار الصعود ومعاني الارتفاع. فسرعان ما وجدت بين اسلاكها ما فتق الحيلة، ونسخ الحيرة، فاندفعت الى سلم السطح اتخطاه في سرعة

وما كاد راسي يخرج من ظلمة السلم الى فضاء السطح حتى بهر بصري الشعاع المترقرق على البياض الناصع، وملات نفسي بهجة الاصيل الشتوي، حيث الشمس، كاللحظ الفاتن، اروع في ذبولها وانكسارها، منها في صحتها وحدتها

فاذا المشاعر اسيرة لكتبة من الصوامع والقباب تزاحمت على امارة هذا الجيش: من البناء المرصوص الضارب على صفحة فضة صقيلة هي صفحة البحيرة، وتسابقت في الافق، متعلقة باسباب السماوات، تطلب ما لها فيها من انساب.

واذا انا انسلخ رويدا رويدا عن المحيط ، الذي حولي ، وتقودني المشاعر الى عالم نوراني جديد ، كان ينبثق امام نظري في تلك اللحظة بين اهلة الصوامع . حتى صار الافق يبدو لي امواجا متلاطمة ، من الانوار الصاعدة والنازلة ، وبين تلك الامواج تختلط اشباح نازلة من القرون الخالية . مع صور صاعدة من معالم المدينة ، الراسية في اساس الصوامع ، الناعمة في ظلالها ، وقد اكتست ، في صعودها الى امواج الافق النورانية ، حياة لم تكن لها من قبل .

فكان من انفعالي بهذا المنظر البهيج ، واندماجي في ذلك العالم السحري ، ان اصبحت في درجة من رقة الاحساس ؛ اسمع فيها من احجار الجدران والقباب والصوامع والسطوح ، اصداء رنانة مفصحة عن اسمى المعاني في اعذب الانغام ، واعي ، عن المعالم الجامدة ، حديثا ، استمدته مما نزل عليها من اشعة الزمان الغابر ، في منطق بليغ ، طالما أفضت به الجمادات قبل الى ذوي الاحساس — وما كان اغنى منطق المشاعر عن اللسان !!! — وكان اول من انانا بهذا المنطق عبقري من البادية العربية هو ذو الرمة اذ يقول :

وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت ابكي عنده واخاطبه
واسقيه حتى كاد مما ابثه تكلمني احجاره وملاعبه

ثم لم نزل نرى البحتري يرويه عن ايوان كسرى ، والشيخ محرز عن طلال قرطاجنة ، وشوقي عن قناة السويس .

ففي ذلك المنطق كانت اوادي البحيرة ، المصفقة تحت ريح الجنوب ، تقص علي من ذكريات صباها ، يوم استولدها من اعماق البحر فتى غسان حسان بن النعمان فالقاها الى حضانة تونس ، امها الرؤوم ، التي لم تزل تحنو عليها ، وتصبر على اللاواء في حبها ، ثم تقص من عهد شبابها ذكريات المراكب الراسية على ضفافها تلتمس نتائج الشرق للغرب ونتائج الغرب للشرق ، وقد كانت تونس سيدة سوقهما ، ومفتاح طريقهما ، ومن عهد كهولتها ما لقيت من الصدمات ، لما امسك بخناقها الاسبان الطغاة ، حتى حررها الترك الغزاة ، ويحول بين سمعي وبين هذا الحديث الرقيق المرسل من البحيرة ، اصوات متجاوبة تتقاطع فوق هذه الحقول المتواصلة من بياض السطوح ، فتلفتني اصداء قوية منبعثة من وهدة بوسط المدينة ، الى قبيبة ، تكاد تذوب بين المباني الشاهقة ؛ الصاعدة حواليها ، فاذا هي القبة المظلة لقبر الامام علي بن زياد الحمصي ، اول فقهاء هذه الحاضرة ، وهي تفخر بمنن ساكنها اذ ارسخ في تونس قدم الاسلام ، وانارها بشعاع السنة ، لما طلع عليها بعلم مالك ، وهدي المدينة ، واذا تلك القبة تعظم في نظري ، على صغرها ، حتى تملا الجو وتغطي كل قبة شامخة ، الا قبة بديعة هرمية الشكل تناظرها من الشمال ، وتتلو من مناقب ساكنها الشيخ محرز بن خلف ، وفضائله على اهل هذه

المدينة في القرن الرابع ؛ من ث التربية ، وحماية الاخلاق ؛ والذب عن حرمة هذا المجتمع التونسي الامين في وجه كل هجمة عادية ؛ حتى وضعت هذه المدينة عن عنانها ؛ ودعته عن حق « سلطانها » .

والتفت الى الربوة الغربية ؛ فاذا منارة جامع التوفيق قد استشرفت تستجلي معاهد انسها في نواح من المدينة ؛ من جامع باب الجزيرة الى المدرسة المرجانية ؛ فلا تزال تقف بأثر اثر من تلك المباني العزيزة ؛ محيية فيها عهد المجد الحفصي الباذخ ؛ يوم آوى الموحدون الى تونس بقايا حضارة متزعزعة الاركان ؛ متصدعة بسيول الحدثان ؛ فرعت اساسها ؛ وشادت هيكلها ؛ وانشأت في حماها للعالم الاسلامي مدارسها الزاهرة ، واسواقها النافقة ، ومنعة كرسيها ، التي احيت امل الانتعاش الاسلامي من الاندلس من الحجاز

وبينما انا مستغرق في بحار هذه الاحاديث العذبة ، كان دخان لطيف ؛ شذي العرف ، يتصاعد امامي متكاثفا حتى حجب عن بصري تلك اللجة النورانية ، التي كانت ماثلة امامي ، فرجعت ، باحتجاب الخيال على بصري ، الى عالم الحس واستفقت من سنتي باريج ذلك الدخان المتصاعد من الافران ؛ الذي يعطر ساعة الغروب كل يوم في هذه الحاضرة الجذابة ، وهناك ادرك فكري ما بين الخيال الذي كنت ماخوذا به وبين الحق ؛ من سبب وثيق ، فما تلك الاحاديث الا مغازي الذكريات والعبر التي تنطوي عليها المدن من ءاثار الحياة التي مرت بها ، وما هي الا الغذاء الروحي الذي لا يستطيع ساكن مدينة ان يتحاماه ، فهو الذي لا يزال يمر على ادراك الناشئين ؛ بين الفترة والفترة ، حتى يجعلهم متعلقين بالماضي ، مكملين للحياة الغابرة ؛ وذلك ما دعى اسلافنا الفاتحين الى هجران المدن ، التي تملاها ذكريات الحضارات القديمة ، لما ارادوا البعد عن ماضيها ؛ وقطع الصلة مع مؤثراتها ، فاقاموا مدنا جديدة ، على الذكريات التي ارادوا خلودها ، والاسرار التي احبوا ان تعمر نفوس الاجيال الاتية من بينهم ، ذكريات تعلق بالجدران ، واسرار تملا الازقة ، فلا تزال خالدة حية وقد انطوت اصولها في الراحلين ولله در ابي العلاء اذ يقول :

تفنى الملـوك ومصر في تغيرهم   مصر على العهد والاحساء احساء

فيا ناشيء الخضراء ، اذا انت درجت في مسالكها ، ومررت بمعالمها ، فلم يستوقفك الاثر ، ولم تفهم عن الحجر ، فلست منها وليست منك ، فاستخرج من الحجر الخبر ، وتقص في الاثر العبر ، ولا تمر بمعالم التاريخ من مدينتك الا منشدا :

وقد نطقت باصناف العظات لنا   وانت فيما يظن القوم خرساء

محمد الفاضل

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن الكريم

من درس التفسير

للاستاذ الاكبر المولى الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور ابقاه الله

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ
ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ

***

لما جاء بتفاصيل صفاتهم اعقبها بما يفيد جمع تلك الصفات في صورة واحدة بتشبيه حالهم بهيئة محسوسة وهي طريقة التمثيل زيادة في الكشف بلحاق تلك الاحوال المعقولة بالاشياء المحسوسة لان النفس الى المحسوس اميل ، وإتماما للبيان بجمع تلك الصفات المتفرقة في السمع المطالة في اللفظ في صورة واحدة لان للاجمال بعد التفصيل وقعا من قلوب السامع وتقرير الجميع ما تقدم في الذهن بصورة تخالف ما صور سالفا لان تجدد الصورة عند النفس احب والذ من تكررها · قال في الكشاف ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شان ليس بالخفي في ابراز خبيات المعاني ورفع الاستار عن الحقايق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغايب كالمشاهد اه · واستدلالا على ما يتضمنه مجموع تلك الصفات من سوء الحالة وخيبة السعي وفساد العاقبة · فجملة مثلهم كمثل الذي استوقد نارا واقعة من الجمل الماضية موقع البيان والتقرير والتعليل فكان بينها وبين ما قبلها كمال الاتصال ولذلك فصلت ولم تعطف · والحالة التي وقع تمثيلها سيجيء بيانها في آخر تفسير الآية

والمثل في كلام العرب بفتحتين بمعني النظير والمشابه ويقال ايضا مثل بكسر الميم وسكون الثاء ويقال مثيل كما يقال شبه وشبه وشبيه وبدل وبدل وبديل ولا رابع لهذه الكلمات في مجي فعل وفعل وفعيل بمعنى واحد • وقد اختص لفظ المثل بفتحتين باطلاقه على الحال الغريبة الشان لانها بحيث تمثل للناس وتوضح وتشبه سواء شبهت كما هنا ام لم تشبه كما في قوله تعالى : مثل الجنة ، وباطلاقه على القول الذي يصدر في حال غريبة فيحفظ ويشيع بين الناس لبلاغة وابداع فيه فلا يزال الناس يذكرون الحال التي قيل فيها ذلك القول تبعا لذكره وكم من حالة عجيبة حدثت ونسيت لانها لم يصدر فيها من قول بليغ يجعلها مذكورة تبعا لذكره فالظاهر ان اطلاق المثل على القول البديع السائر بين الناس الحادث في حالة عجيبة هو اطلاق مرتب على اطلاق اسم المثل على الحال العجيبة وانهم لا يكادون يضربون مثلا ولا يرونه أهلا للتسيير وجديرا بالتداول الا قولا فيه بلاغة وخصوصية في فصاحة لفظ وايجازه ووفرة معنى فالمثل قول عزيز غريب ليس من متعارف الاقوال العامة بل هو من اقوال فحول البلاغة فلذلك وصف بالغرابة (١)

ولما شاع اطلاق لفظ المثل بالتحريك على الحالة العجيبة الشان جعل البلغاء اذا ارادوا تشبيه حالة مركبة بحالة مركبة اعني صفتين منتزعين من متعدد اتوا في جانب المشبه والمشبه به معا او في جانب احدهما بلفظ المثل وادخلوا الكاف ونحوها من حروف التشبيه على المشبه به منهما ولا يطلقون ذلك على التشبيه البسيط فلا يقولون مثل فلان كمثل الاسد وقلما شبهوا حالا مركبة بحال مركبة مقتصرين على الكاف كقوله تعالى : الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه •

بل يذكرون لفظ المثل في الجانبين غالبا نحو الآية هنا او في احد الجانبين كقوله تعالى: انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء الآيـة وذلك ليتبادر للسامع ان المقصود تشبيه حالة بحالة لا ذات بذات ولا حالة بذات

(١) اشرت بتفسير معنى الغرابة لدفع الحيرة الواقعة في المراد من قول صاحب الكشاف «الا قولا فيه غرابة الخ » فقد فسرها الطيبي بغموض الكلام وكونه نادرا معنى ولفظا وهذا لا يطرد وقد سكت عنه الشارحان السعد والسيد حام حوله الخفاجي

فصار لفظ المثل في تشبيه الهيئة منسيا منه اصل وضعه ومستعملا في معنى الحالة فلذلك لايستغنون عن الاتيان بحرف التشبيه حتى مع وجود لفظ المثل فصارت الكاف في قوله تعالى كمثل دالة على التشبيه وليست زايدة كما زعمه بعض النحاة الاترى كيف استغني عن اعادة لفظ المثل في المعطوف في قوله او كصيب ولم يستغن عن الكاف. ومن اجل اطلاق لفظ المثل اقتبس علماء البيان مصطلحهم في تسمية التشبيه المركب بتشبيه التمثيل وقد تقدم الامام بشيء منه عند تفسير قوله تعالى : اولئك على هدى من ربكم. والذي مفرد اريد به مشبه واحد لان مستوقد النار واحد ولا معنى لاجتماع جماعة على استيقاد نار ولا يريبك كون الحالة المشبهة حالة جماعة المنافقين لان تشبيه الهيئة بالهيئة انما يتعلق بتصور الهيئة المشبه بها لا بكونها على وزان الهيئة المشبهة فان المراد تشبيه حال المنافقين في ظهور اثر الايمان ونوره مع تعقبه بالضلال ودوامه بحال من استوقد نارا. ومحاولة تاويل الذي بانه مختزل من الذين اختزال اللذ من الذي كما في الكشاف محاولة تنبو عنها القواعد ويربأ باستعمال القرآن عنها كما ان تاويله بالفريق الذي استوقد او الجنس وان صح وله نظاير في كلامهم فهو مما ينبو عنه التمثيل هنا

واستوقد بمعنى اوقد فالسين والتاء فيه للتاكيد كما هما في قول الحماسي :

نستوقد النبل بالحضيض ونصـ ـطاد نفوسا بنت على الكرم

فانه لا معنى لطلب النابل وقود النبل بالحجر وانما هو قد يقع عند الرمي بشدة وكذلك في الآية لايراد تمثيل حال المنافق في اظهار الايمان بحال الوقود بل هو حال الموقد

وقوله تعالى (فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم) مفرع على استوقد بلا حذف ولما حرف يدل على وقوع شيء عند وقوع غيره فوقوع جوابها مقارن لوقوع شرطها

واضآ يجيء متعديا وهو الاصل لان مجرده ضاء فهمزته للتعدية ويجيء قاصرا بمعنى ضاء فهمزته للصيرورة اي صار ذا ضوء يساوي ضاء كقول امرىء القيس يصف البرق

يضيء سناه او مصابيح راهب اهال السليط بالذبال المفتل

والآية تحتملها اي فلما اضاءت النار الجهات التي حوله وهو معنى ارتفاع شعاعها وسطوع لهبها فيكون ماحوله موصولا مفعولا لاضاءت وهو الاظهر

٦

وتحتمل ان تكون من اضاء القاصر اي اضاءت النار اي اشتعلت و كثر ضوءها في نفسها ويكون ماحوله على هذا ظرفا للنار اي حالة كونها حوله غير بعيدة عنه٠

وقوله ذهب الله بنورهم جواب لما وانما جمع الضمير في قوله بنورهم مع كونه بلصق الضمير المفرد في قوله : ما حوله مراعاة للحال المشبهة لا للحال المشبه بها وهي حال المستوقد الواحد على وجه بديع في الرجوع الى الغرض الاصلي وهو انطماس نور الايمان منهم فهو عايد الى المنافقين لا الى الذي قريبا من رد العجز على الصدر فاشبه تجريد الاستعارة المفردة وهذا رجوع بديع وقريب منه الرجوع الواقع بطريق الاعتراض في قوله الآتي والله محيط بالكافرين٠ وحسنه ان التمثيل جمع بين ذكر المشبه وذكر المشبه به فالمتكلم بالخيار في مراعاة كليهما لان الوصف لهما فيكون ذلك البعض نوعا واحدا في المشبه والمشبه به فما ثبت للمشبه به يلاحظ كالثابت للمشبه من باب اياك اعني واسمعي يا جارة ولذلك اختير هنا لفظ النور عوضا عن النار المبدا به للتنبيه على الانتقال من التمثيل الى الحقيقة ليدل على ان الله اذهب نور الايمان من قلوب المنافقين فهذا ايجاز بديع كانه قيل فلما اضاءت ذهب الله بنارهم فكذلك ذهب الله بنورهم وهو اسلوب لا عهد للعرب بمثله فهو من اساليب الاعجاز وقد وجدت لـه نظرا قريبا منـه وهو قوله تعالى : بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون٠ وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون قل او لو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون ٠فقوله ارسلتم حكاية لخطاب اقوام الرسل في جواب سؤال محمد عليه الصلاة والسلام قومه بقوله او لو جئتكم الخ وبهذا يكون ما في هذه الآية موافقا لما في الاية التي بعدها من قوله تعالى يجعلون اصابعهم في ءاذانهم اذ يتعين رجوعه لبعض المشبه به دون المشبه٠ وجوز صاحب الكشاف ان يكون قوله ذهب الله بنورهم مستانـفا ويكون التمثيل قد انتهى عند قوله ما حوله ويكون جواب لا محذوفا دلت عليه الجملة المستانفة وهو قريب مما ذكرناه الا ان الاعتبار مختلف٠ ومعنى ذهب الله بنورهم اطفأ نورهم فعبر بالنور لانه المقصود من الاستيقاد واسناد اذهابه الى الله تعالى لانه

حصل بلا سبب من ريح او مطر او اطفاء مطفيء والعرب والناس يسندون الامر الذي لم يتضح سببه لاسم الله تعالى

وذهب المعدى بالباء اشد مبالغة من اذهب المعدى بالهمزة وهاته المبالغة بقيت في التعدية بالباء بقية من اصل الوضع لان اصل ذهب به ان يدل على انهما ذهبا متصاحبين واذهبه جعله ذاهبا بامره او ارساله فلما كان الذي يريد اذهاب شخص اذهابا لا شك فيه يتولى تحقيق ذلك بنفسه حتى يوقن بحصول امتثال امره صار ذهب به اشد من اذهبه كما يقولون طارت به العنقاء وسال به الوادي

وقوله تعلى : فلما ذهبوا به . ثم جعلت الهمزة لمجرد التعدية في الاستعمال فيقولون ذهب القمار بمال فلان ولا يريدون انه ذهب معه ولكنهم تحفظوا ان يستعملوا ذلك الا في مقام تاكيد الاذهاب فبقيت المبالغة فيه

(وتركهم في ظلمات لايبصرون) تقرير لمضمون ذهب الله بنورهم لان من ذهب نوره يبقى في ظلمة لا يبصر والقصد منه زيادة ايضاح الحالة الشنيعة التي صاروا اليها فان للدلالة الصريحة من الارتسام في ذهن السامع ما ليس للدلالة الضمنية فان قوله ذهب الله بنورهم يفيد انهم لما استوقدوا نارا فانطفأت انعدمت الفائدة وخابت المساعي ولكن قد يذهل السامع ماذا صاروا اليه عند هاته الحالة فيكون قوله بعد ذلك وتركهم في ظلمات لا يبصرون تذكيرا بذلك وتنبيها اليه فانهم لا يقصدون من البيان الا شدة تصوير المعاني ولذلك يطنبون ويشبهون ويمثلون ويصفون المعرفة ويأتون بالحال ويعددون الاخبار والصفات قال ابو العباس المبرد « من كلام العرب الاختصار المفهم والاطناب المفخم » فهذا اطناب بديع كما في قول طرفة :

نداماي بيض كالنجوم وقينة ... تروح الينا بين برد ومجسد

فان قوله تروح الينا الخ . لا يفيد اكثر من تصوير حالة القينة وتحسين منادمتها

واصل معنى ترك تنحى عن شيء وفارقه فيتعدى لواحد وكثيرا ما يذكرون الحال التي ترك الفاعل المفعول عليها نحو قوله : فقد تركتك ذا مال وذا نسب ولكثرة استعماله مذكورا بعده حال قد يضمنونه معنى صير قال عنترة :

فتركته جزر السباع ينشنه ... يقضمن حسن بنانه والمعصم

يريد صيرته والفرق بين ما يضمن فيه معنى صير فيكون المنصوب الثاني بعده مفعولا وبين ما لا يضمن معنى صير فيكون المنصوب الثاني حالا انه كان القصد الى الاخبار بالتخلية والتنحي عنه فالمنصوب الثاني حال وان كان القصد اولا الى ذلك المنصوب الثاني وهو محل الفائدة فالمنصوب الثاني مفعول والاية وبيت عنترة من القبيل الثاني فلا يحتمل واحد منهما غير ذلك معنى وان احتمله لفظا وللفظ الترك في هذا من حسن الموقع ما ليس للفظ التصيير وحده وكذلك ما يرادفه مثل غادرته في قول الحريري :

قل لقاض غادرته بعد بين سادحا نادما يعض اليدين

وجمع ظلمات لقصد بيان شدة الظلمة كما في الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة وقد تتبعت كلام العرب فوجدت ان الكثرة لما كانت في العرف سبب القوة اطلقوها على مطلق القوة وان لم يكن تعدد ولا كثرة ونظيره قول تابط شرا في الحماسة :

قليل التشكي للمهم يصيبه كثير الهوى شتى النوى والمسالك

ففي قوله كثير الهوى جعل الكثرة بمعنى القوة . وقال تعالى وادعوا ثبورا كثيرا اي شديدا . وقال الكميت يمدح عبد الملك :

وانت كثير يا ابن مروان سيد وكان ابوك ابن العقايل كوثرا

وقال المتنبي « كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا » ومنه ذكر ضمير الجمع للتعظيم للواحد وضمير المتكلم ومعه غيره للتعظيم . ولم يرد في القرءان ذكر الظلمة مفردا ولعل لفظ ظلمات اشهر اطلاقا في فصيح الكلام . وسياتي بيان هذا عند قوله تعالى (وجعل الظلمات والنور) في سورة الانعام . بخلاف قوله تعالى (في ظلمات ثلاث) فان التعدد مقصود . وهذا تمثيل لحال المنافقين في ترددهم بين مظاهر الايمان وبواطن الكفر فوجه الشبه هو ظهور امر نافع ثم انعدامه قبل الانتفاع به فان في اظهارهم الاسلام مع المؤمنين صورة من حسن الايمان وبشاشته فان للاسلام نورا وبركة ثم لا يلبثون ان يرجعوا عند خلوهم بشياطينهم فيزول عنهم ذلك ويرجعوا في ظلمة الكفر اشد مما كانوا عليه لانهم كانوا في كفر فصاروا في كفر وكذب وما يتفرع عن النفاق من المذام فان الذي يستوقد النار في الظلام يتطلب رؤية الاشياء فاذا انطفات النار صار اشد حيرة منه في اول الامر لان ضوء النار قد عود بصره فيظهر اثر الظلمة في المرة الثانية اقوى .

تفسير قول الله تعالى:

قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى

بقلم العلامة الشيخ الناصر الصدام

ان من احكم الروابط الاجتماعية واشدها وثاقا واجلاها مظهرا للعاطفة والعصبية رابطة الانساب والقرابة . وذلك ما تتفاضل الامم في العناية به والمحافظة عليه .

وان من اشدها به احتفاظا العرب ذلك لما هم عليه من بداوة واستحكام جفوة وشيوع فوضى وتاثر بالخيال والخطابة والشعر وما الى ذلك الامر الذي لا عاصم لهم منه الا بعوامل الحمية لقرابة او جوار او نحوهما فهذا ما حدا بهم الى ان وصلوا ارحامهم ولم يخفروا لها ذمة متمدحين بذلك على جاهليتهم وتباين في المعتقد واختلاف في النزعة وهو ما تقصه عليك اشعارهم من نبئهم بالحق . بيد ان اصرارهم على العناد وجحودهم لما جاءهم عن الله تعلى من الآيات البينات قد انساهم كما انسى من قبلهم من الامم ما عرفوا للقرابة من عظيم حرمة واكيد ذمة فاعلنوا الجفوة واظهروا ما في طباعهم من اعراض ونبوة قائلا بعضهم لبعض (لا تسمعوا لهذا القرءان والغوا فيه لعلكم تغلبون). ولقد اعرض من قبلهم قوم نوح عليه السلام وذلك ما ينبئك به القرءان الحكيم حاكيا لمقالته فيهم (واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في ءاذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا) هذا ما لاقاه محمد ونوح من قومهما على قرابة كل منهما في امته ورجاحة نسبهما فيهم وكذلكم الرسل تبعث في انساب قومها .

ولعدم معاملتهم له صلى الله عليه وسلم معاملة القريب لقريبه مع تأكدها بينهم واطرادها في عامة شعوبهم وقبائلهم لقنه القرءان الحكيم كيف ينحى عليهم باللائمة ويسجل عليهم عدم قضائهم لحقوقها في اروع اسلوب واشده تاثيرا في النفوس واستدرارا لاخلاف العاطفة منهم فقال (قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى) وفي ذلك ما فيه من الدعاء الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة

ثم في عد ما يتطلبه منهم من الاقبال عليه والانصات اليه المفهوم من الاستثناء الذي هو اول

ما يناله القريب من القريب أجرا مجازات منه لهم وار - اء للعنان بتسليم ما الفولا من المخبرين بالمغيبات من كهان وغيرهم من طلبهم للاجر عن اخبارهم وهو ما يسمونه بحلوان الكاهن وفي اقتناعه صلى الله وسلم عليه بذلك اجرا عما جاءهم به عن الله تعلى بشيرا ونذيرا قطع لتعللهم وزعمهم أنه ربما يطالب الاجر عما يبلغه الامر الذي ربما يبرر لهم اعراضهم عن الاستماع اليه والاخذ عنه. هذا ما ظهر للعبد في تفسير هاته الآية الكريمة وهو المعنى الذي يتجلى في اخوتها من الآي السالكة سبيلها كقوله تعلى (قل ما اسألتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد) وقوله جل ذكره (قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) وقوله سبحانه (قل ما اسالكم عليه من اجر وما أنا من المتكلفين) وقوله تعلى ايضا (كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح الا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين) وقوله تعلى (كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين) وقوله تقدست اسماؤه (كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من أجر ان اجري الا على رب العالمين) وقوله تبارك وتعلى (كذب أصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين) والقرءان يفسر بعضه بعضا

وفي التعبير في عموم هاته الآيات سوى آية شعيب عن الرسل بالاخوة لاممهم وشعوبهم يدل على ان سنة الله تعالى ان يرسل الرسل من نفس المرسل اليهم وفي ذلك مافيه من جعل المرسل اليهم على استعداد للانتفاع من تلكم الرسالة ثم الآيات الثلاث الاول مما تلونا يخطاب له صلى الله عليه وسلم واولاها وهي (قل ماسالتكم من اجر فهو لكم) صريحة في عدم سؤاله عليه الصلاة والسلام الاجر لانه لو كان مسؤله لم يكن لهم بل هو له كما لا يخفى لكنه اخبر بانه لهم فكان اخباره دليلا على عدم السؤال وكذلك قوله جل من قائل (قل ما أسالكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) فان اتخاذ السبيل الى الله تعلى ليس اجرا ضرورة ان نفعه وهو الوصول الى المقصد من سلوك السبيل انما هو للسالك

واما قوله سبحانه (قل ما سألتكم عليه من اجر وما أنا من المتكلفين) فهو أصرح مما قبله في نفي سؤال الاجر حيث ان نفيه لم ينتقض بالاثبات الصوري كما في الآية قبله وفي الآية التي نحن بصدد تفسيرها. هذا والحكمة من هذا التقاين الآلهي للرسل عليهم السلام هي الدلالة على نزاهتهم وصدقهم وان لا حامل لهم على القيام بما قاموا به الا تبليغ الدعوة اجابة لداعي الله تعالى لا يريدون على ذلك جزاء ولا شكورا يظهر ذلك كل الظهور في آية والطور وهي (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون) وايضاح ذلك انه بعدم سؤاله الاجر منهم تنقطع معاذيرهم عن الاغراض عن قبول الدعوة والاستماع اليها فيتمحض اعراضهم للاستكبار والجحود والضلال وذلك ما يترتب عليه اصابة العذاب والنكال وهاته الآية هي حلقة من سلسلة استفهامات متتابعة سيقت مساق التوبيخ والتعنيف واولها (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين ام تأمرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون ام يقولون تقوله بل لا يومنون فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ام خلقوا السماوات والارض بل لا يوقنون ام عندهم خزائن ربك ام هم المسيطرون ام لهم سلم يستمعون فية فليات مستمعهم بسلطان مبين ام له البنات ولكم البنون ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ام لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون)

فان قلت مقتضى الظاهر التعبير باللام دون الظرف بأن يقال (للقربى)

قلت انما عدل عنه وعبر بالظرف اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم لن يطلب من مودتهم الا ما يمكنه من الاستماع للدعوة وقبولها غير ممعن فيها ولا راغبا في توفرها وهذا ما يدل عليه الظرف ولا كذلك اللام لدلالتها على الاطراد في سائر انواع الوداد ولان في طلب اصل الود وقليله أبلغية في تعنيفهم واقامة الحجة عليهم

وبما اوضحنا تتبين ان الاستثناء في الآية وفي غيرها من سائر ما تلونا منقطع وذلك ما يتحقق به نوع غريب من انواع البديع لم يطلع عليه المتقدمون ولم ينصوا عليه فيما علمت وقد سميته (توكيد النفي بما يشبه الاثبات) وهو قسمان فمنه مايكون

بأدوات الاستثناء ومنه ما يتحقق بما يدل على الغاية فمن مثل الاول قول سيدنا كعب ابن زهير رضي الله تعلى عنه :

ولا تمسك بالوعد الذي زعمت ... الا كما يمسك الماء الغرابيل

ومنه الايات التي تلونا، ومن مثل الثاني قول الله سبحانه (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) فان الغرابيل لا تمسك الماء والجمل لا يلج في سم الخياط البتة فاعرفه وتحفظ به وقلب وجهك في سماء البلاغة متى كانت العلوم مواهب الآهية علك ان يوليك ربك قبلة ترضاها واثقا بما جاء في الكتاب مسطورا (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا)

أما ما عليه عامة المفسرين وفي مقدمتهم العرب الخلص من الصحابة والتابعين رضي الله تعلى عن جميعهم من ان الآية خطاب للمؤمنين بما يجب لآل بيت النبيء صلى الله عليه وسلم من ود واجلال واحترام فمما لم اتبين له وجها فان سياقها كسياق الآيات التي تلونا ليس من ذلك في قبيل ولا دبير لا تفسيرا ولا تأويلا وممن صرح بذلك المعنى في شعره الكميت بن زيد الاسدي الكوفي من قصيدة رنانة مدح بها ساداتنا آل البيت رضي الله تعلى عنهم ونفعنا بحبهم في الدارين مطلعها

طربت وما شوقا الى البيض اطرب ... ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

الى ان تخلص الى مدحهم فقال

ولكن الى اهل الفضائل والنهى ... وخير بني حواء والخير يطلب
الى النفر البيض الذين بحبهم ... الى الله فيما نابني اتقرب
بني هاشم رهط النبيء وانني ... بهم ولهم ارضى مرارا واغضب
خفضت لهم مني جناح مودتي ... الى كنف عطفاه اهل ومرحب
باي كتاب ام بأية سنة ... ترى حبهم عارا علي وتحسب
ومالي الا آل احمد شيعة ... ومالي الا مذهب الحق مذهب

ومن غيرهم ارضى لنفسي شيعة ومن بعدهم لا من اجل وارجب

اليكم ذوي آل النبيء تطلعت نوازع من قلبي ظحاء والبب

وجدنا لكم في آل حاميم آية تأولها منا تقي ومعرب

ومن ذلك ايضا قول الآخر وفيه دلالة على اشتهار هذا المعنى للاية من ذلك

العصر يذكرني حم والرمح شاجر فهلا تلا حم عند التقدم

وبه ايضا صرح الامام ابوبكر ابن العربي في كتابه احكام القرءان عندما تكلم على قول الله تعالى (وآت ذا القربى حقه) حيث قال بعد كلام ما نصه (ويدخل في ذلك قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم دخولا متقدما او من طريق الاولى من جهة ان الاية للقرابة الادنين المختصين بالرجل فاما قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ابان الله على الاختصاص حقهم واخبر ان محبتهم هي اجرة النبي صلى الله عليه وسلم على هداه لنا) اهـ بالحرف

فهذا من القوم كاجماع على ذلك والرجاء ممن يقف على هاته العجالة احقاق حقها وابطال باطلها داعيا الى سبيل ربه بالحكمة والموعضة الحسنة وفوق كل ذي علم عليم

المجلة : هذا الوجه الذي ظهر للشيخ حفظه الله في تفسير القربى بقرابة قريش منه صلى الله عليه وسلم يوافق ما نقله صاحب الكشاف عن بعض المفسرين حيث قال :

وقيل : لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قربى فلما كذبوه وابوا ان يبايعوه نزلت . والمعنى الا ان تودنوي في القربى اي في حق القربى ومن اجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعنى في حقه ومن اجله . يعني انكم قومي واحق من اجابني واطاعني فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي .

فهو موافق له في اصل التاويل وان غايره في تعيين المراد من المودة فذكر الشيخ حفظه الله انها تكون بالاقبال عليه والانصات اليه وسماع ما جاءهم به من عند الله . وما نقله صاحب الكشاف يتعلق بعدم الاذاية وتهيمج العرب ضده عليه الصلاة والسلام .



عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم قال : يا غلام اني اعلمك كلمات احْفَظ اللَّهَ يحفظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تجِدْهُ تجاهك - إِذَا سَأَلْتَ فاسألْ اللهَ - وإِذا استعنْتَ فاستعِنْ باللهِ - واعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لو اجْتَمَعَتْ على أن ينفعوك لم ينفعوك إلاَّ بشيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لك، وإِنْ اجْتمعوا على أَنْ يضروك بشيءٍ لم يضروك إلاَّ بشيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عليك، رُفِعَتْ الأَقْلامُ، وجَفَّتْ الصُّحُفُ

الشرح

(بقلم الشيخ محمد الهادي ابن القاضي)

هذا الحديث الشريف اصل من اصول الدين وحكمة من حكم سيد المرسلين وهو من جوامع كلم الرسول وعمدة التربية الدينية الاسلامية العملية التي هذب بها المربي الاعظم العقول وانشا عليها ابناء هذا الدين في جملة ما هذبهم به من الكمالات وحلاهم به من حميد الخلال وجميل الصفات

وإنه ليرشدنا الى ما كان عليه الصلاة والسلام قائما به من دعوة الامة الى الله تعالى ومن ارشادهم الى العقائد الصحيحة والى ما يزكي نفوسهم من الفضائل ومكارم الاخلاق فقد كان (صلى الله عليه وسلم) يعلمهم ذلك في مجالس يعقدها لهم في المسجد وغيره وفي مجامع أخر في الحضر والسفر فمايكاد يمضي عليه وقت (عليه السلام) الا وهو مشغول بتعليم او ارشاد او بيان قصد اصلاح دينهم ودنياهم وهدايتهم الى ما يصلح حالهم في أولاهم واخراهم كما دلنا هذا الحديث ايضا على ما كان من عناية النبي (صلى الله

عليه وسلم) بتربية الاطفال وتغذية نفوسهم بالعقائد الاسلامية وغرس الاعمال الصالحة في نفوسهم لينشأوا نشأة حسنة علماء بدينهم عاملين بتعاليمه حريصين على ادائها على اكمل الوجوه واجملها حتي يكونوا فيما بعد مرجعا لغيرهم يفزعون اليهم في تعليم ما ورثوه هم عن المربي الاعظم (صلى الله عليه وسلم) كما كان شان سيدنا عبد الله ابن عباس وغيره من الصحابة الاجلاء الذين كانوا نعم الموئل والملجا المسلمين بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) فقد نشأ ابن عباس وغيره من ابناء الصحابة كعبد الله ابن عمر رضي الله تعالى عنهم اجمعين على هذه النشاة الحسنة و كانوا جميعا بعد الرسول (صلعم) مشرقا بزغت منه شمس هذا الدين المحمدي وانبعث منه نور الاسلام الحنيف فاضاء المشارق والمغارب

فعلينا ان ننشيء اطفالنا هذه النشئة الدينية الاسلامية وان نهتدي بهذا الهدي النبوي ونربي ابناءنا التربية التي ربي بها المربي الاعظم ابن عباس وغيره من اطفال المسلمين كسيدنا علي وعبد الله ابن عمر والحسن رضوان الله عليهم اجمعين

ان العلم الذي جاء به النبي (صلعم) وبلغه الناس عن ربهم علم يصلح النفوس ويهذبها وكذلك يصلح الابدان ويقيها امراضها فكان هذا الدين الاسلامي مثقفا للنفوس شافيا لها من العقائد الفاسدة وقبائح الجهالات ودواء يشفي من سيئات الاعمال وشرور عواقبها وانه كما جاء مصلحا للاحكام والاعمال جاء مصلحا للناس ارواحهم وعقولهم ببيان العقائد والعبادات والفضائل النفسية من ذلك ما اشتمل عليه هذا الحديث الشريف من الاصول الجامعة للتوحيد الخالص والايقان الكامل وتفويض الامور اليه والاعتماد في كل جليل او حقير عليه وطرح جميع الاغيار عن درجة الاعتبار وانه لا حول ولا قوة الا بالله الواحد القهار .

يقول ابن عباس رضي الله عنهما كنت خلف النبي (صلعم) اي كنت راكبا خلفه على دابته وبينما هي تسير بنا اذ قال لي النبيء (صلعم) (يا غلام) الغلام عند العرب هو من يتجاز عمره التسع سنين فقد تحمل عبد الله ابن عباس هذا العلم وهو غلام لم يبلغ الحلم ولا يخفى ما في هذا الدعاء من التنبيه وايقاض النفس لتلقي ما ياتي بعده فكانه يقول له تنبه يا غلام واحضر قلبك لفهم ما يلقى عليك ثم قال (اني اعلمك كلمات) المراد اعلمك جملا وفصولا تنفعك وتفيدك وكثيرا ما تطلق الكلمة على الجملة المفيدة وفي هذا

التمهيد من التشويق للمخاطب واذكاء روح اليقظة في نفسه ليمعن في استحضار حواسه وقلبه لارتشاف هذه الحكم الخالدة ما فيه وهو مثل عال للتربية الصحيحة يستعمله المربي الاعظم واستاذ الخليقة جمعاء فلنتوخه في تربية ابنائنا وهو اسوتنا في جميع امورنا واحوالنا فاذا اردت ان تفيد حقيقة او ترشد الى فضيلة فشوق من تريد تعليمه اولا الى ذلك ثم القه اليه يدخل قلبه دخول الرحيق للظمآن فيرويه ويشفي غلته هكذا علم النبيء (صلعم) ان عباس وهكذا يجب ان يفعل وتلك طريقة التشويق التي يستعملها المدرسون الماهرون وهي كما رايت من تعاليم ديننا واساليب تربية الاسلام

واعلم ان الخطاب وان كان موجها لابن عباس بخصوصه لكنه يتناول الجميع على قاعدة ان الشريعة عامة وان خطابات الشارع تتناول جميع الامة في كل زمان ومكان وتعيين مخاطب واحد لا يدل على اختصاصه بمقتضى الخطاب بل الامر له ولكل مكلف يصح ان يوجه اليه الكلام.

والكلمات التي اشار اليها صدر الحديث خمس فهي خمسة فرائد هي حلية المؤمن وزينته اذا حفظها واتقن فهمها وسار في جميع احواله على نهجها فقد فاز بكمال الايمان وحصل على جميع مبتغاه ونال السعادة الحقيقية التي هي غاية مناه وكان مكلوأ بعين العناية الآلهية التى لاتغفل ولا تنام

الكلمة الاولى هي قوله (احفظ الله يحفظك) حفظ الله عهوده ومواثيقه وذلك يكون بامتثال اوامره واجتناب منهياته اي كن مطيعا لربك واقفا عند حدوده فلا يفقدك حيث امرك ولا يراك حيث نهاك يحفظك الله من كل شر وبلاء ويرعاك بعين عنايته فلا يكلك الى غيره طرفة عين فقد جرت سنة الله في خلقه ان يجعل الجزاء من جنس العمل فامسيت واصبحت وانت في ولايته وكنفه وحفظه وحمايته ملحوظا برضاه محفوفا بلطفه فلا خوف عليك ولا حزن ولك البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لك العز في الدنيا والتكريم وفي الآخرة النعيم المقيم وعلى ذلك من الشواهد القرآنية ما يفوت الحصر فاقرأ ان شئت قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقوله تعلى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من

قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا • وقوله تعلى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ماتشتهي انفسكم ولكم فيها ما توعدون)

اليست هذه الآيات تعطيك وعد الكريم الذي لا يخلف بنوالك السعادة الدنيوية والاخروية ما دمت محافظا على تعاليم الدين جادا في طريقه المستقيم صرايط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصالحين غير المغضوب عليهم ولا الضالين وهذا لا محالة هو عين الحفظ الموعود به في الحديث

وبعكس ذلك يكون حال من تمرد وطغى وتجاوز حدود الدين واستهتر بتعاليم هذا الشرع المتين وضيع الفرائض واهمل الواجبات وعكف على انواع المحرمات اعماه الشيطان عن الحق وزين له الباطل فتنكب طريق الجادة واغراه بنعيم وهو زايل فهو معرض لغضب الله وبطشه وهو في شقاء دائم ولو كان ذا ثراء عريض وجاه كبير قال الله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى

الكلمة الثانية هي قوله (احفظ الله تجده تجاهك) تجاهك في الاصل بمعنى قدامك والله تعلى منزه عن الجهة والزمان والمكان وكل سمة من سمات المخلوقات ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وانما المراد حافظ على حدود الله تجد معونته وهدايته وتوفيقه معك يقودك الى الخير حيثما كنت فيجعل لك نورا تمشي به في الناس فلا تقصد امرا ولا تسعى في طريق الا ويكون التوفيق رائدك والنجاح حليفك ولا تقع في شدة الا وخلصك منها وجعل لك مخرجا كما في قصة الثلاثة الذين اصابهم المطر فآووا الى غار فانحدرت صخرة فانطبقت عليهم فقالوا انظروا ما عملتم من الاعمال الصالحة فاسئلوا الله تعلى بها فانه ينجيكم فذكر كل واحد منهم سابقة سبقت له مع ربه فانحدرت عنهم الصخرة فخرجوا يمشون بعد ان كادوا يهلكون ولله في خلقه شؤون • ولا يخفى ما في اعادة لفظ الحفظ في الكلمة الثانية من التاكيد والمبالغة لامر المحافظة على حدود الدين مع تنويع الجزاء

الكلمة الثالثة هي قوله (اذا سالت فاسل الله) في هذه الجملة علم كثير وفقه غزير وحاصل ما تفيده على الجملة انه لا يجوز للعبد ان يسال غير مولاه في كل ما يحتاجه من

امر دنياه واخراه فانه تعالى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو وبيده خزائن الجود وملكوت كل شيء فهو وحده القادر على الاعطاء والمنع وكل ما سواه محتاج لا يقدر على شيء. قال بعض العارفين قرأت آيات في كتاب الله فاستغنيت به تعالى على الناس (١) قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو، فلم اسال غيره كشف ضري (٢) قوله تعالى وان يردك بخير فلا راد لفضله، فلم ار الجزاء والفضل الا منه (٣) قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها، فلم اطلب الرزق من احد سواه. وفي هذا من التوحيد وتخليص النفوس من العبودية لغير ذي الجلال والاكرام ما فيه فان من ايقن ان اله ربا يرزقه ويمده باسباب الحياة كما امده باصل الحياة وهو ملجؤه في كل شيء احس من اعماق نفسه بالاستغناء عن الناس ولم يعد في حاجة ان يتملقهم ويتزلف اليهم وشعر تماما بما له من كرامة وعزة تكفل الله بهما لخلقه المتوكلين عليه فلم يعول الا على الله الذي لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع بيده النفع والضر يصرفهما كيف يشاء وهو على كل شيء قدير

وليس معنى هذا ترك الاخذ بالاسباب التي جعلها الله تعالى موصلة للمطلوب عادة فانه خروج عن السنن العامة في افعال الرب فشأن المؤمن المتوكل في دائرة الاسباب ان يطلب كل شيء من سببه خضوعا لسننه تعالى في نظام خلقه وهو بذلك يطلبها من حيث امره ان يطلبها فاذا جهل الاسباب او عجز عنها وكل امره فيها الى الله تعالى داعيا اياه ان يعلمه ما جهل مما سنه من اسباب العلم وليس من التوكل ترك الاسباب الصحيحة في المعيشة والكسب والتداوي وغيرها والآيات الدالة على فضل التوكل وعلو منزلة المتوكلين كثيرة شهيرة

ثم استمع الى الكلمة الرابعة وهي قول الرسول (واذا استعنت فاستعن بالله) تجده يوصيك ان تطلب العون على قضاء حوائجك وجميع امانيك من الله وحده فهو المعين وجميع من سواه اليه محتاج وهذا صفوة الخلق وسيد الوجود يحكي القرآن على لسانه) قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير) فاذا اردت تحقيق امانيك فاطلب العون من الله وقل اياك نعبد واياك نستعين وهذه الكلمة في معنى الكلمة

السابقة جاءت لتأكيد المعنى المراد وتقريره وتثبيته في النفوس وبيان اهميته

واذا فهمت هذا حق الفهم وتغلغل في نفسك فهمت الكلمة الختامية (واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك) فهي مسوقة كالدليل على ما سبق وان واجب المؤمن ان يصرف اعتماده على الله وحده دون سواه وان ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبدأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم

ولتزداد في هذا المقام يقينا على يقينك وثباتا على دينك فاليك البقية الباقية (رفعت الاقلام وجفت الصحف) فهذه الكلمة صريحة في ان قلم القضاء قد جف بكل ما هو كائن الى يوم القيامة ففيما الحرص وسؤال الناس والتمسح بالاعتاب واهانة ما كرمه الله

وبعد فان من ايقن ان ما اخطاه لم يكن ليصيبه ولو تظاهر الناس جميعا على معاونته وان ما اصابه لم يكن ليخطئه ولو تضافر الكون جميعا على منعه فقد تحررت نفسه من كل عبودية وذل اللهم الا لمولاه المنعم وهذا هو الايمان الحق والله ولينا لا ولي لنا سواه اهـ

الحياء فضيلة

حدث ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

« الحياء من الايمان ، والايمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار »

وقال بعض الحكماء : « من كساه الحياء ثوبه ، لم ير الناس عيبه »

وقال صالح بن عبد القدوس :

اذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولا خير في وجه اذا قل ماؤه
حياؤك فاحفظه عليك وانما يدل على فعل الكريم حياؤه

يظن بعض الناس ان الحياء منشأه ضعف في النفس وقد اخطاوا كثيرا والحقيقة ان النوقح اذا تمكن في النفس لا يزال يدفع صاحبه المهالك حتى يسقط اعتباره .

« نفتح في هذا العدد بابا جديدا »

« في المجلة يتعلق برسول الله »

« صلى الله عليه وسلم واصحابه »

اسرة الرسول

أبوا الرسول

ابوه – عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب واسمه حكيم ابن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان .

امه – آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب .

اولاد الرسول

من زوجه خديجة – القاسم - زينب - رقية - فاطمة - ام كلثوم - عبد الله ويلقب الطيب والطاهر ومن سريته مارية القبطية – ابراهيم .

أعمام الرسول

ابو طالب - ابولهب - عبد الكعبة - المقوم - ضرار - قثم - المغيرة - العيداق - العوام - العباس - حمزة .

عمات الرسول

صفية ام الزبير بن العوام - عاتكة - برة - اروى - اميمة - ام حكيم .

ازواج الرسول

اولاهن خديجة بنت خويلد القرشية ثم سودة بنت زمعة القرشية - عائشة بنت الصديق ابي بكر - حفصة بنت عمر بن الخطاب - زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية من بني هلال بن عامر - ام سلمة هند بنت ابي امية القرشية المخزومية - زينب بنت جحش من بني اسد - جويرية بنت الحارث الخزاعية ام حبيبة بنت ابي سفيان القرشية الاموية - صفية بنت حيي بن اخطب سيد بني النضير من ولد هارون بن عمران - ميمونة بنت الحارث الهلالية .

موالي الرسول

من الرجال – زيد بن حارثة - اسلم - رافع - ثوبان - ابو كبشة - سليم - شقران واسمه صالح رباح - يسار - مدعم - كركرة - انجشة الحادي - سفينة بن فروخ واسمه مهران - انيسه - افلح - عبيدة طهمان - حنين - سندر - فضالة .

ومن النساء – سلمى ام رافع - ميمونة بنت سعد - خضيرة - رضوى - ريشحة - ريحانة

الصـاع النبوي

بقلم المولى الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

حقيق على علماء الاسلام ان يتهمموا بضبط معاني الاسماء التي يناط بها امر او نهي في الدين ضبطا يساير مختلف الاعصار والامصار كي تجري امور الديانة على سبيل واضحة بينة لا يعتريها تردد ولا يخالجها ابهام. وحق على الامة ان تطالب علماءها ببيان ذلك لها حتى تكون على بينة من الامر وحتى تجري اعمالها في امور دينها على طريقة سواء وان اختلفت الاسماء. وتباعدت الاقطار والانحاء.

ولا يحسبن احد من اولئك او هؤلاء ان في اجراء تلك الاعمال على اجمال أو ابهام معذرة لهم في الوفاء بحق التكليف ولا ان في الاخذ بالاحتياط او الاحوط كفاية لهم لان ذلك لا يتاتى في كثير من الاحوال ولان الاحتياط عبارة عن عمل يصير اليه العلماء عند تعذر او تعسر العمل بامر مضبوط فهو من فروع ما يسمى في علم الاصول الاستدلال وانما يصار الى الاستدلال عند استفراغ الجهد في طلب الدليل ثم العجز عن تحصيله فاما الاخذ بالاحوط فهو عبارة عن اختيار احد الامرين المتعارفين عند عدم ظهور وجه يرجح اعتبار احدهما دون الآخر فيكون الاخذ بالاحوط طريقا من طرق الترجيح عند التعارض وهو آخر المرجحات وانما يصار الى الترجيح اذا تعارض دليلان ولا تعارض قبل البحث عن الدليل وعن معارضه.

وقد جرى تقدير مقادير نصب زكاة الحبوب والثمار وزكاة الفطر وكفارات الايمان وفدية الصيام وغير ذلك بالصاع والمد والوسق فكانت من الاسماء الشرعية المجهول مسماها اليوم عند طوائف جمة.

وقد نشأ هذا الجهل من تفريط المسلمين في ضبط كثير من امور دينهم وتغلب العادات والاصطلاحات عليهم في شئون مجتمعهم فاذا نظرنا الى الزكاة وجدنا اهل كل بلد لا يضبطون مقدار النقود الرائجة عندهم من الذهب والفضة بمقدار الدينار والدرهم الشرعي ولا يضبطون مقادير المكاييل الرايجة عندهم بما هو المطلوب في اخراج الزكاة

داخلين في ذلك كله على التسامح ومحكمين الاسماء دون المسميات والالفاظ دون المعاني ٠

(المخالفة في مقادير المكاييل المستعملة في كثير من بلاد المسلمين ومقادير المكاييل الشرعية)

كان الاختلاف في مقـادير المكاييل وفي تقديرها على المكيال المعتبر شرعا من القدم ما اختلف فيه علماء الاسلام اختلافا نشأ عن اهمال العمل بالمكاييل الشرعية في كثير من الاقطار ٠ لقد كانت هذه المعضلة من المسائل التي دارت بين الامام مالك ابن انس وابي يوسف صاحب الامام ابي حنيفة رحمهم الله ٠

قال عياض في المدارك سال ابو يوسف مالكا عن الصاع فقال مالك خمسة ارطال وثلث فقال ومن اين قلتم ذلك فقال مالك لبعض اصحابه احضروا ما عندكم من الصاع فاتى اهل المدينة او عامتهم من المهاجرين والانصار وتحت كل واحد منهم صاع فقال هذا صاع ورثته عن ابي عن جدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع ابو يوسف الى قوله يعني وقد كان يقول بقول ابي حنيفة ان الصاع النبوي ثمانية ارطال فلذلك كان المنقول عن ابي يوسف في الفقه الحنفي انه قال الصاع خمسة ارطال وثلث خلافا لابي حنيفة

نشأة الصاع النبوي وما ظهر بعده من الاصواع

لا شك في ان الصاع النبوي هو صاع اهل المدينة الذي كان متداولا عندهم لما هاجر اليهم النبيء صلى الله عليه وسلم اذ لم ينقل في كتب السنة والسيرة ان النبيء صلى الله عليه وسلم وضع لهم مكيالا غير به مكيالهم الذي الفاهم عليه واخرج النساءي عن ابن عمر ان النبي (ص) قال المكيال مكيال اهل المدينة والوزن وزن اهل مكة وان قوله في الدعاء لهم اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم ومدهم كما في حديث الموطا يزيدنا يقينا بهذا فالصاع الشرعي هو صاع المدنية الموجود في زمن النبيء صـلى الله عليه وسلم والمد هو مد اهل المدنية اذ بـه جـرت التقارير الشرعية وبلاد العرب معروفة بقلـة الاقوات فيها وبقناعة اهلها وذلك يقتضي ان تكون مكاييلهم صغيرة ويسمى المد ايضا المكوك بشد الميم وتشديد الكاف كما في حديث الثلث عند النسائي وكانت وحدة المكاييل عندهم المد ومن اربعة امداد يكون الصاع ٠ وقد استمر الصاع النبوي مكيالا لاهل المدنية الى زمن هشام بن المغيرة المخزومي امير المدينة في خلافة هشام بن عبـد الملك الاموي فجعل هشام لهم مدا اكبر من المد النبوي وصاعا على نحو ذلك المد ويسمى

المد الهشامي والمد الاعظم اخرج النسائي عن السائب ابن يزيد (من الصحابة المتوفي سنة ٨٦) انه قال كان الصاع على عهد رسول الله (ص) مداوثلثا بمدكم اليوم وقد زيد فيه اهـ. اي كان الصاع الذي هو اربعة امداد يعادل مدا وثلثا من صاعهم يومئذ.

ثم لما انتشر الاسلام في الاقطار استمر اهل كل قطر على الكيل بمكاييلهم المتعارفة فتكاثرت المكاييل في بلاد الاسلام كثرة شديدة. ولا نشك في ان دواعي لم نطلع عليها دعت بعض امراء المدينة الى احداث مكاييل في المدينة لم تكن في الزمن النبوي ولا في في مدة الخلفاء احدث هشام بن المغيرة امر المدينة مداوصاعا اكبر من مد النبيء صلى الله عليه وسلم وصاعه وهما المعروفان بمد هشام وصاع هشام وبالمد الاعظم والصاع الاعظم واحدث عمر بن عبد العزيز مدا دعي بالمد العمري.

واحسبهم ما احدثوا ذلك الا لتيسير سرعة كيل الاعطية من بيت المال وما يؤخذ على التجار واهل الخراج من الارزاق العايدة الى بيت المال ولكنهم كانوا لقرب العهد ولدقة الضبط في مامن من المخالفة لمقدار الصاع النبوي ولذلك نجدهم يقدرون تلك الاصواع المتداولة بينهم بما يوازي الصاع النبوي.

فلما اتسعت الاقطار وتباعدت العهود تطرقت الغفلة او الجهالة رويدا رويدا بمقدار الانتساب بين مكاييل الامصار وبين الصاع النبوي ومن ثم تجد الفقهاء اذا ارادوا ان يقدروا المكاييل الشرعية قارنوها بمقادير مكاييل امصارهم وموازينها من مكي وشامي وبغدادي واندلسي كما يراه المزاول كتب الفقه.

ومن العجب ان زجت الغفلة ببعض اهل العلم في اعتقاد ان الاخذ بما هو محقق الوفرة اسلم لانه احوط لان فيه يتحقق مقدار الصاع النبوي وزيادة وقد غفلوا عما يفوت بذلك من فضل اتباع السنة وعما يجر اليه ذلك من الاحجاف اذا كانت بعض المكاييل الرائجة او التي ستوجد ناقصة عن مقدار الصاع النبوي.

وقد روى البخاري في كتاب الايمان عن منذر بن الجارود عن ابي قتيبة البصري عن مالك عن نافع قال كان ابن عمر يعطي زكاة رمضان بمد النبيء صلى الله عليه وسلم المد الاول وفي كفارة اليمين بمد النبيء قال ابو قتيبة قال لنا مالك مدنا اعظم من مدكم (يعني في البركة والفضل) ولا نرى الفضل الا في مد النبيء صلى الله عليه وسلم وقال لي مالك

لو جاءكم امير فضرب مدا اصغر من مد النبيء باي شيء كنتم تعطون قلت كنا نعطي بمد النبيء قال افلا ترى ان الامر انما يعود الى مد النبيء ٠

وفي المعيار نقل جواب الحفار والقاضي عن سؤال عن العمل بقول فقيه قال ان زكاة الفطر بالوزن باعطاء اربعة ارطال من الطعام ما نصه واما الفقيه الذي قال ان زكاة الفطر تخرج بالوزن اربعة ارطال فقد اخل بقاعدة شرعية فانه لو استفتاه رجلان يجب على احدهما قمح لانه قوت بلده وعلى الاخر شعير لانه قوت بلده فافتاهما بان يخرج كل منهما اربعة ارطال فقد جزمنا بان احدهما خالف السنة لان الصاع النبوي ان كان يسع اربعة ارطال من الشعير فانه يسع اكثر من ذلك من القمح وبالعكس العكس ٠ فانا وجدنا اهل المدينة لا يختلفون في ان مده صلى الله عليه وسلم ليس اكبر من رطل ونصف ولا اقل من رطل وربع وقال بعضهم هو رطل وثلث وليس هذا اختلافا ولكنه على وزانة المكيل من تمر او بر او شعير ٠

ضبط مقدار الصاع النبوي بوجه عام

والسبب الجامع لهذه الحال هو فقدان المسلمين جامعة اسلامية ترسم لهم امور دينهم ويصدرون عن امرها وتفاقم ذلك بعد انحلال الخلافة الاسلامية وتشتت الممالك وتباعد الاقطار لذلك كان واجبا على علماء كل قطر ان يحرروا مقدار الصاع النبوي على على المكاييل المتداولة عندهم ٠ وقد ضبط عبد ابن حبيب لذلك ضابطا صالحا لسائر الاقطار « فقد نقل عنه القباب ان مقدار الصاع النبوي اربع حفنات باليدين جميعا بكف الرجل الذي ليس بعظيم الكفين والمدحفنة كذلك وزاده شراح المختصر تقييدا بان تكون اليدان غير مقبوضتين ولا مبسوطتين ولا يخفى على عاقل ان اكف البشر لم تنقص عما كانت في زمن النبيء صلى الله عليه وسلم ولا ادعى احد من العلماء الخائضين في هذا الباب تناقصها ٠

ضبط مقدار الصاع النبوي بمكيال تونس الحالي

الصاع النبوي لا خلاف في انه اربعة امداد بالمد النبوي وقد ضبط فقهاؤنا مقداره بضابط لا يختلف وذلك فيما حكاه ابن رشد في البيان والتحصيل من كتاب الزكاة وفي اجوبته ان المشهور أن المد النبوي وزن رطل وثلث قال واختلف في قدر المد في الوزن فقيل بالماء وقيل بالوسط من البر اه ٠ وقد جزم الشيخ ابن ابي زيد في الرسالة في باب الوضوء على ان التقدير بالماء

اذ قال وقد توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدوهو وزن رطل وثلث فتعين انه اختار ان الوزن بالماء فيكون ترجيحا قال فقهاؤنا الرطل اثنتا عشرة اوقية والاوقية عشرة دراهم وثلثا درهم من الدرهم الذي ضرب في مدة عبد الملك بن مروان وقد جعل وزنه ستة دوانق والدانق ثمانية حبات وخمساحبة من وسط الشعير فوزن الدرهم خمسون حبة وخمساحبة من وسط الشعير وشرطوا ان يكون كل شعيرة منها مقطوعة الطرفين الزائدين على حجم الحبة (١) واني قد وزنت هذا العدد من الشعير على الصفة المذكورة فكان ثلاثة غرامات بميزان اليوم كما وزنت درهما عتيقا ضرب في صدر الدولة العباسية هو عندي فوجدته ثلاثة غرامات ايضا وبذلك تحقق ان الدرهم الشرعي يزن ثلاثة غرامات بميزان تونس اليوم فتكون الوقية الشرعية اثنين وثلاثين غراما ويكون الرطل الشرعي الذي هو اثنتا عشرة اوقية على المختار يزن ثلاثمائة وثمانية واربعين غراما ويكون المد النبوي الذى هو رطل وثلث يزن خمسمائة واثنى عشر غراما ويكون الصاع النبوى الذى هو اربعة امداد يزن الفين وثمانية واربعين غراما وذلك من الماء ومن المعلوم ان ميزان الليترة التي هي وحدة المكاييل التونسية في هذا الزمان هو الف غرام من الماء المقلي فيكون الصاع النبوى يسع ليترتين ونصف عشر الليترة وهذا مما الامر يه فيه • ثم انا اعتبرناه بضابط ابن حبيب فكلنا اربع حفنات بكفي رجل متوسط اليدين غير مقبوضتين ولا مبسوطتين فوجدنا ذلك يعادل ليترتين ونصف عشر الليترة • وقد صدرت الفتوى مني بتقدير الصاع النبوي بهذا المقدار من عام ١٣٤٤ وهلم جرا ونشرت بجرائد تونس وبمصر من جرائد ومجلات المغرب والمشرق في عدة سنين وتلقاه اهل العلم بالقبول • اما الصاع المستعمل في تونس قديما قبل تصيير مكاييلها الى وحدة الليترة فقد تردد بعض اهل العلم من التونسيين في نسبته من الصاع النبوى فرايت للعلامة القاضي الشيخ اسماعيل التميمي في جواب له عن خمس مسائل سئل عنها منها تعيين ما يلزم في زكاة الفطر بصاع تونس فاجاب بقوله الذى سمعناه من شيوخنا ان الصاع النبوى هو بكيل تونس صاع وثلث صاع واختبرته بمدعندى فوجدته صحيحا واختبروا انتم ان شئتم بالحفنات نقل القباب عن ابن حبيب ان الصاع النبوى

(١) قال الفقهاء يسمى هذا الدرهم درهم الكيل لانه الذي به تقدر المكاييل الشرعية من اوقية ورطل وصاع ومد ويسمى الدرهم المكي والظاهر انهم سموه بهذين الاسمين بعد ان تعددت انواع الدراهم ودخلت فيها الزيوف

اربع حفنات باليدين جميعا بكف الرجل الذى ليس بعظيم الكفين اه٠ وظاهر هذه العبارة ان الصاع النبوى يعدل صاعا وثلثا تونسيا فاذا كان ذلك مراده كان الشيخ غير متحقق مقدار الصاع من صاع تونس لانه ذكر انه اختبر صاع تونس بمد عنده ولم يثق بصحة تقدير المد الذى عنده حتى يجعله اصلا يرجع اليه فلذلك احال السائل على اختبار ذلك بنفسه وعلى الرجوع الى التقدير بالحفنات ويحتمل ان يكون مراده ان الصاع النبوى اذا نسب الى صاع تونس كان يعادل صاع وثلث منه صاعا تونسيا فيكون قوله بكيل تونس اى بصاع تونس وعلى كل حال فالشيخ غير متحقق ووقع في خطبة جمعة اخر رمضان من خطب العلامة شيخنا سيدى سالم بوحاجب عند ذكر زكاة الفطر ما نصه وهي صاع بصاع نبينا صلى الله عليه وسلم اي اربعة امداد٠ ويوافقه الصاع المعروف الان بها ته البلاد اه٠ وهذا يخالف ما نقله الشيخ اسماعيل التميمي عن مشائخه ولم يذكر الشيخ مستنده في ذلك ولم نطلع على كلامه هذا الا بعد وفاته رحمه الله ففاتنا ان نراجعه في ذلك وقد كان الشيخ رحمه الله حيا في وقت صدور التقدير المحرر عني وسنين بعده ولم يغير ذلك هو ولا راجعني فيه احد من اهل العلم٠ والتحقيق ان صاع تونس الذى كان معروفا قبل تغيير المكاييل يسع ثلاث ليترات وثلث الليترة وان شئت قلت ثلاث ليترات وسبعة اجزاء من تجزئة الليترة الى عشرين جزأ فيزيد على ما يسعه الصاع النبوى بمقدار ليترة واحدة وثلاثة اعشار الليترة فالصاع التونسي هو مقدار صاع وثلث بالصاع النبوى وهذا يوافق الاحتمال الثاني في عبارة الشيخ اسماعيل التميمي٠ وان الاربع الحفنات المرجوع اليها في تقدير الصاع النبوى لا تملا صاعا تونسيا٠

خاتمة

ان مكاييل بلاد الاسلام او معظمها خالفت الصاع النبوي منذ ازمان عتيقة وكانت الغفلة عن ضبطه تغر اهل بلاد المغرب فيحسبون ان كل صاع ياتيهم من المشرق هو صاع نبوي وربما كان بعض الحجيج ياتي بمكاييل من المدينة المنورة او مكة المشرفة تنسب الى المد والصاع النبوي وماهو بموافقه ففي المعيار للونشريسي من جواب الحفار (١) «واما الحاج الذى جلب المد من المدينة ان كان صادقا فالمد الذي جلبه يقطع بانه ليس على مقدار المد النبوى اذ مقدار المد النبوى على ما عبر ست عشرة اوقية من القمح والمعول عليه في مقداره ما يعلم من الائمة المقتدى بهم»٠ اه

(١) انظر صحيفة عدد ٣١٨ ج را طبع حجر فاس

امهات الدواوين
في المذهب المالكي

بقلم العالم الشيخ محمد الشاذلي النيفر

اوحى الي هذا الموضوع اني كثيرا ما ارى على ظهور الكتب القلمية نبذة يحاول فيها صاحبها ان يجمع امهات الدواوين في الفقه المالكي . وبالطبع ان العمل اذا لم يتهيأ له عامله لا يخرج الا ابترا جذم وليس ادل على عدم العناية من الكتابة على ظهور الكتب . وزادني عـزما ان الكتب التي عني مـؤلفوها بالعلوم والكتب كانت خلوا من كتب المذهب المالكي ، فهذا مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زادة المتوفي سنة ٩٦٢ لا تجد فيه لكتب المالكية ذكرا . ومثله كشف الظنون وان كان اعارها طرفه بعض الاعارة ولم يدعهم الى القصور في هـذه المهمة الا ان اكثر المؤلفين في الفـقه المالكي من أهل الاندلس او من اهل المغرب أو من اهل افريقية وكتب امثال هؤلاء القوم لا تصل الى المشرق الا بقلة ولو لا ما فرضه الله من الحج لما رأيت لها ذكرا البتة . والسبب فيه بعد الشقة فان المسافـة بين قرطبة وبغداد ليست بالمسافة القريبة اليوم فما بالك بها منذ الف سنة

وسنتمم في هذه الكلمة ما نقص في تلكم الكتب ونصل الحلقات بعضها ببعض . واكثر اعتمادنا في هذه الصلة على ما كتبه العلامة الاستاذ المرحوم الوالد في كتابه سلوة المحزون في تتمة كشف الظنون وعلى ما ظفرنا به في تضاعيف الكتب والاوراق وعلى ما تلقيته من افواه مشائخنا والاقران

وسنحاول جهد المستطاع في التعريف بمؤلفي الكتب وبها نفسها صارفين كبير العناية الى التنقيب عنها في الفهارس . ومهما وقفت على شيء الا عينت موضعه بالضبط لكني ادعي القصور في هذه الناحية اذ اكثر المكاتب الخاصة التي تحتفظ بدفائن عزيزة الوجود لم تنهيأ لي زيارتها لما اراه من الغضاضة في الطلب واما المكاتب العامة فاقتصر فيها على ما وصلني برامجه .

وليس غرضي ان اعمد الى الخفيات بل تصدي الامهات المشتهرات التي اعتمدها الناس بالدراسة وراجت بينهم حتى في بعض العصور .

***

ان احق ما يصدر به من امهات دواوين الفقه المالكي كتاب الموطأ فانه كما قال فيه ابن العربي بناه مالك على تمهيد الاصول للفروع ونبه فيه على معظم اصول الفقه التي يرجع اليها في مسائله وفروعه ولا يرتاب عاقل فيما ذكره ابن العربي وانه لحق كما انتم تنظرون .

وان فضل الموطأ على غيرها من كتب الفقه والحديث كفضل الرجال على النساء وان مالكا رضي الله عنه عمد فيها الى جمع الفقه والحديث كما جماله .

وانا سنتعرض في هذه العجالة الى التعريف بصاحب الموطأ اجمالا والى التعريف بالكتاب من ذكر رواته وطبعاته وشروحه والدلالة على اماكنها غاية ما وصل اليه الجهد وبلغه الاستقصاء .

اما الامام صاحب الموطأ فانه اشهر من ان يعرف واكبر من ان يدل على مكانته في العلم والتقى ووفور العقل ولكن نلم بشذرات من حياته بركة في هذه العجالة وتيمنا في هذه المقالة .

هو ابو عبد الله مالك بن انس بن مالك الاصحبي المدني قال ابن خلكان الاصحبي بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة وبعدها حاء مهملة هذه النسبة الى ذي اصبح .

ولد سنة خمس وتسعين للهجرة وتوفي في شهر ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة رضي الله عنه لقد عاش اربعا وثمانين سنة . وزاد ابن الفرات في تاريخه انه توفي لعشر مضين من شهر ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة . وفي حاشية الامم لايقاظ الهمم ان الشيخ عيسى المغربي نظم ولادته ووفاته فقال :

فخر الائمة مالك ❊ نعم الامام السالك
مولده نجم هدى ❊ وفاته فاز مالك (١)
٩٣ ١٧٩

لكن ذهب في ولادته على ما للسمعاني في كتاب الانساب وهو خلاف ما اختاره ابن خلكان وغير واحد من المؤرخين لكن هو الذي صدر به السيوطي في تزيين الممالك .

وقد ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب جملة من شيوخه منهم زيد بن اسلم ونافع مولى ابن عمر وسعيد المقبري والزهري وابو الزناد وهشام بن عروة وقد ترجم لكثير منهم السيوطي في كتابه اسعاف المبطا برجال الموطا .

واما الذين اخذوا عنه فخصوا بالتأليف من ذلك تأليف الحافظ ابي بكر الخطيب البغدادي وعددهم عشرة الف رجل الا سبعة كما في تاليف القاضي عياض وقد ذكر فيه نيفا على الف اسم

---

(١) وقفت في بعض المجاميع على ما نصه : تتمة . ذكر لي صاحبنا الشيخ العلامة سيدي احمد المقري رحمه الله عن سيدي الثقة العلامة محمد بن غازي ان من نظمه في التاريخ :

وعام قحط مات مالك الرضى ❊ وقد قضى ابن القاسم عام قضى
واشهب والشافعي عندي ❊ ردا الى الاله عام رد

وانه لما ذكر ذلك بحضرة بعض الشافعية فقال جاءنا تاريخ مالك كلاما لا معنى له بل هو مستهجن بخلاف تاريخ الشافعي قال فاخترت ان اغيره ثم انشدني في ذلك ما نصه :

لما تذاكرت مع الاجهوري ❊ عالم مصر الناصح المشهور
سيدنا المدعو نور الدين ❊ علي المبجل المكين
وفاة مالك امامنا الرضى ❊ وكنت قد ارختها فيما مضى
أستمنح التوفيق من ذي الطول ❊ اذ سمحت قريحتي بقولي
قد أرخ الشيخ ابن غازي الماهر ❊ وفاة مالك بلفظ ظاهر
وهو قحط لكن عرى عن تورية ❊ فيه وعن اشارة لتعمية
فقلت لما ان رأيت ذلك ❊ تاريخه قولك فاز مالك

وثلثمائة اسم وقد سردهم في المدارك كما سردهم في تزيين الارائك. ولا بأس ان ننبه ان كثيرا من شيوخه قد اخذ عنه قال ابن حجر في تهذيب التهذيب وعنه الزهري ويحي بن سعيد الانصاري ويزيد بن عبد الله وغيرهم من شيوخه. قال في مرآة الجنان ان مالكا قال قل رجل كنت أتعلم منه ومات حتى يجيئني ويستفيني وقد امتحن على يدي جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما في مسالة طلاق المكره.

وله من التآليف - ١ الموطأ - ٢ ورسالته الى ابن وهب في القدر والرد على القدرية - ٣ وكتاب في النجوم وحساب دوران الزمان ومنازل القمر - ٤ ورسالة في الاقضية في عشرة اجزاء - ٥ ورسالته الى هارون الرشيد ويحي بن خالد البرمكي، وقد طبعت هذه الرسالة ثلاث مرات في مصر وانكرها كثير من المشائخ وقالوا فيها احاديث منكرة لو سمع مالك من يحدث بها ادبه، وحلف اصبغ بن الفرج ما هي من وضع مالك - ٦ وتفسير غريب القرءان وينسب اليه كتاب السرور (١)

اما الموطأ فهو كما قال ابن العربي هو الاصل الاول واللباب وكتاب البخاري هو الاصل الثاني في هذا الباب وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذي لطيفة كنت ذكرت في كتابة لي ما نصه: ما الطف ما رواه لنا العلامة الشيخ الوالد من نكتة لبعض شيوخه، قال، كان الامام في ختم كتابه بالباء يشير الى أنه اب لانه ختمه بحديث لي خمسة اسماء، انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب. وكأن في ختم البخاري كتابه بالميم اشارة الى انه الام في الحديث لختمه بحديث التسبيح الذي هو سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

---

(١) قد خص مالكا كثير من العلماء بالترجمة منهم ابو بكر احمد بن مروان الدينوري المصري المتوفى سنة ٣١٠ وابو الروح عيسى بن مسعود المتوفى سنة ٧٧٤ والجلال السيوطي في كتاب سماه تزيين الارائك بمناقب الامام مالك (كذا في الكشف) لكن الكتاب الذي طبع للسيوطي اسمه تزيين الممالك بمناقب سيدنا الامام مالك؛ وهذا هو الصواب كما وقفت عليه في كتاب بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر الشيخ جلال الدين لتلميذه الشيخ عبد القادر الشاذلي هذه الكتب الثلاثة هي التي ذكرها صاحب الكشف وبقي عليه مناقب لبعضهم فرغ من تاليفها سنة ١٠٤٠ توجد بدار الكتب المصرية والانتقا في مذاهب الائمة الثلاثة الفقهاء لابن عبد البر فقد خص جزءا منه بالامام والمدارك للقاضي عياض وان كان في ترجمة رجال المذهب الا ان تعريفه بالامام يعد تاليفا مستقلا وكذا لديباج المذهب.

والذين ترجموا لمالك ابن قتيبة في المعارف ص٢١٨ وابن النديم في الفهرست ص٨٠ وابن خلكان في الوفيات ج ١ ص ٥٥٥ واليافعي في مرءاة الجنان ج ١ ص ٣٧٣ الكشف ج ٢ ص ٥٧٢ وابو الفدا ج٢ ص٤١ وطبقات الشافعية ج١ص٥٧ وروضات الجنان ج٤ ص١٤٤ وشذرات الذهب ج ص وتهذيب التهذيب ج١٠ ص٥ وجرجي زيدان ج٢ ص١٣٩.

وقد وضع مالك الموطا وفيه اربعة ءالاف حديث او اكثر ومات وهي الف حديث ونيف يخلصها عاما فعاما بقدر ما يرى انه اصلح للمسلمين وامثل في الدين كما في المدارك. قال الشافعي ما بعد كتاب الله انفع من الموطا، وقال ما على ظهر الارض كتاب بعد كتاب الله اصح من كتاب مالك. واخرج ابو نعيم في الحلية عن احمد بن حنبل انه قال في كتاب مالك بن انس : ما احسنه لمن تدين به. وقال عبد الرحمان ابن مهدي : ما كتاب بعد كتاب الله انفع للناس من الموطا. قال ابن وهب من كتب موطا مالك فلا عليه ان يكتب من الحلال والحرام شيئا.

وجه تسميته بالموطا ان مالكا رضي الله عنه وطأه للناس حتى قيل موطأ مالك كما قيل جامع سفيان كما افاده ابو حاتم الرازي. ولبعضهم في وجه هذه التسمية ان مالكا قال عرضت كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة فكلهم واطأني عليه فسميته الموطأ. وروى ابن فهر ان هذه التسمية اختص بها مالك فبعضهم سمى بالمصنف وبعضهم بالمؤلف. ولفظة الموطأ بمعنى الممهد المنقح المحرر المصفى. قال السيوطي في شرح الموطأ وفي القاموس وطأه هيأه ودمثه وسهله، ورجل موطا الاكناف سهل دمث كريم مضياف او يتمكن في ناحيته صاحبه غير مؤذى ولا ناب به موضعه، وموطأ العقب سلطان يتبع وهذه المعاني كلها تصلح في هذا الاسم على طريق الاستعارة.

وروايات الموطأ على ما قال الغافقي اثنتا عشرة رواية وهي رواية عبد الله بن وهب وعبد الرحمان ابن القاسم وعبد الله بن مسلمة القعنبي وعبد الله بن يوسف التنيسي ومعن ابن عيسى وسعيد بن عفير ويحى بن عبد الله بن بكير وابي مصعب احمد بن ابي بكر الزهري ومصعب بن عبد الله الزبيري ومحمد بن المبارك الصوري وسليمان بن برد ويحي بن يحي الاندلسي وزاد السيوطي رواية سديد ابن سعيد ومحمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة.

وقد احصيت من روى عنه الموطأ حسبما وقفت عليه فوجدتهم انافوا على الستين. ولا فائدة في ذكرهم الا التطويل غير اني سأخص الافارقة بالذكر وهم اسد بن الفرات القروي(١) وخلف بن جرير بن فضالة القروي(٢) وعلي بن زياد التونسي(٣) وعيسى بن شجرة التونسي(٤).

قال في كشف الظنون والمستعمل منها اي من رواياتها اربعة موطأ يحي بن يحي وموطأ ابن

---

(١) توفي اسد سنة ٢١٣ في حصار سرقوسة من غزوة صقلية وهو امير الجيش.

(٢) قال ابو العرب كان ثقة سمع من كثير من رجال ابن وهب.

(٣) توفي سنة ١٨٣ وقبره معروف بتونس قرب المستشفى الصادقي وهو الذي دخل الموطا المغرب.

(٤) جاء في تنوير الحوالك للسيوطي وعيسى بن شجرة تونسي ص ٨ ج ١

بكير وموطأ ابي مصعب ـ وهو ابو مصعب احمد بن ابي بكر الزهري ـ وموطأ ابن وهب، ثم ضعف الاستعمال الا في موطأ يحي ثم في موطأ ابي بكر ، قالت قد وقفت في قطف الثمر على سندين لمالك احدهما من طريق يحي بن يحي والثاني من طريق ابي مصعب الزهري وهذا يدل على ان رواية ابي مصعب لم تهمل كما ذكره صاحب الكشف .

والرواية المشتهرة التي طبع عليها الكتاب المرات العديدة هي رواية يحي بن يحي وبها ثلاثون كتابا تبتدي بكتاب الصلاة وتنتهي بكتاب الجامع .

المطبوع من روايات الموطأ هي رواية يحي كما اسلفنا ورواية الشيباني واقدم الطبعات هي طبعة دهلي بالهند سنة ١٢١٦ ثم تليها في التاريخ الطبعة التونسية وهي باكورة عمل مطبعة الدولة التونسية وقد قام بتصحيحها اولا الشيخ محمود قبادو ثم لما اشتغل بالقضاء قام بالتصحيح الشيخ سالم بوحاجب والشيخ محمد البشير التواتي والشيخ احمد الورتاني . وكان تاريخ ختم طبعه عصر الخميس يوم المولد النبوي عام ثمانين وماتين والف. وقد ارخ ختم الطبع الشيخ قبادو بابيات منها :

وطأ اليوم الموطا مطبع	فيه من منشيه طبع سدد
قد جلاه الملك الصادق في	لبة التمدين عقدا ينضد
ان في طبع الموطا شاهدا	لمزاياه وفخرا يخلد
ايها الناس لقد اصفى لكم	وِرْدَه فاستبقوه واحمدوا
ولتدروا ساعة الانمام من	اي يوم شهر عام فانشدوا
ارخوا عصر خميس اوخوا	طاب ختما لهموطا المولد

وعلى الحجر في مصر سنة ١٢٨٠ وفي فاس مرتين ١٣١٠ و١٣١٨ وفي لاهور سنة ١٨٨٩ وقازان ١٩١٠

وطبعت رواية محمد بن الحسن في الهند ١٢٩٢ و١٢٩٧ كما طبع مرات اخر وآخر طبعاته برواية يحي بمطبعة البابي بالشكل الكامل

العنصر العقلي في الادب

بقلم العالم الاديب السيد احمد المختار الوزير

ان نظرية النقد الادبي الحديث تقضي بان نتناول بحث الادب كفن له صلة بالفنون الاخرى • وله ايضا استقلال عنها • فالادب في ايسر الحدود • وله ميله للتعبير عما في نفس الشاعر من الافكار والخواطر والمشاعر • وهو ايضا اداء حسن ينشيء صلة وثيقة بين الاديب والقاريء: وعلى اعتبار جانبي هذه القضية نجد هنالك شيئا معبرا عنه هو دون لبس هذا العنصر العقلي • بما فيه من الافكار والصور الروحية والاخيلة • ومن اشبه الادب غيره من فنون الابانة والاداء كالموسيقى والتصوير وما اليهما من فنون اخرى •

فكل شيء في فن الادب يتركز على المعاني والحقائق التي يتضمنها ويصورها ويعبر عنها سواء أكان لهذه الحقيقة اثر في تكميل مرافق العيش وترفية الحياة • أم لم يكن لها اثر في شيء من ذلك . انما قصدها الاديب مباشرة وعبر عنها لذاتها فليس يعنيه نفعها الخلقي او المادي وليس يعنيه ان تكون صادقة معنمة معقولة • ام لم تكن على شيء من كل ذلك • بل كل ما هنالك ان الاديب يمارس تجاريب الحياة • ويتعلق بما تكشف له من الحقائق فيشعر بالحاجة الملحة الى التعبير • فاذا عبر عن هذه الحقائق المجردة من تجاريب الحياة فان هذا التعبير لن يكون له غرض اخر سوى مجرد التعبير والابانة والافصاح •

يقول الاستاذ « لاسال » من اعلام النقد الادبي الحديث : « اننا في الادب الصرف لسنا بحاجة الى ان نستبعد امرا او أن نحول شيئا عن صورته • فهنالك نرى التعبير عن التجارب ممتعا لذيذا لمجرد انه تعبير عنها • والاثر الذي يتعمد الاديب ان يتركه في نفوسنا هو ان نحس التجربة وان نجد فيها متعة • وهذا هو الذي نرمي اليه • حين نقول ان مادة الادب هي التجربة الخالصة » ويتضح لنا من سرد هذه القضية ان العنصر العقلي هو روح الهيكل العظمي لفن الادب وان التجارب هي محور دائرته • ومن الحقيقة المعبر عنها تستمد العاطفة قوة تاثيرها

وقد وصف ـ شلي ـ الشعر بما تخيرنا اثباته ههنا تاييدا لهذه المقدمة قال : « الشعر يقظ

العقل و ينبهه بما يجعله مسرحا للافكار المتسلسلة المترابطه • تسلسلا و ترابطا قل من يدركهما والشعر ينيط النقاب عن وجوه الجمال المستتر • ويترك المالوف العادي كانه غير المالوف العادي اذ يلبسه من زخرف الخيال و البيان حلة هي السحر وكل ما تقع عليه انواره الساطعة يكتسب بهجة وجمالا • برقان النفس و الوجدان »• ويقول ايضا « الشعر السامي غير محدود • فقد تزيح عن معنى القصيد حجابا و ترى اية باهرة من الجمال • ثم تزيح ء خر فترى اية اخرى ومهما ازحت من حجب فلست لتعريه من حلله البهية • بل ان الملحمة الكبرى لهي نبع ابدي يفيض متفجرا حكمة وبهجة »•

هذا النعت يجلي لنا طبيعة الادب السامي • ويوضح ما لهذه الطبيعة من تاثير • فان تفجر القصيد بالمعاني و الاخيلة و الخواطر والافكار و الاحاسيس و الالهام وبالصور الروحية للحياة التي عبر عنها الشاعر تعبيرا ممتعا لذيذا صادفت من نفوس القراء لقاء حسنا وحرصا عاليا • وانقطاعا لفهم ما ولدته في اذهانهم من الصور و الاشكال • هذا النبع المتفجر حكمة وبهجة هو الذي يمد الاجيال بفيض من النشاط العقلي لا سكون له ولا قرار • هذا النبع المتفجر حكمة وبهجة هو مادة الادب هو الروح الذي يملأ ذلكم الهيكل الذي نسميه قصيدا وليس يلزم لهذه الحقائق و الصور التي هي مادة الادب ان يكون قد استخلصها ذكاء الاديب و انتباه يقظاته من دنيا الواقع المشهود • ولا من تيار الحياة المتدفق الزاخر بالاحداث اذ قد تكون تلكم الصور منتزعه من العقل الصرف ومستمدة من الالهام النفسي • ومن بدع الخيال الخصيب ولكن الذي يلزمنا اعتباره في نعت الصور ونقدها ان تكون تامة الاجزاء منسجمة التركيب • واضحة الظل و الضياء • اي غير ناقصة • ولا مشوهة • ولا غامضة

ويحسن بنا في درس هذا العنصر العقلي ان ناخذ ابتداء في تحاليل بعض الامثلة • اذ لعل ذلك يسهل علينا اسباب التحصيل • ويعيننا بعض الشيء على الامعان و التقصي في التاصيل والفصيل • وايسر ما اختاره من الامثلة هذه الابيات المشهورة من شعر ابي العلاء المعري فقد عبر بها عن رايه في اقتحام سبيل الحياة الشائك الوعر فقال وقد اعياه المسير وكده واضناه:

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعي اذا قيـ ـس بصوت البشير في كل واد
ابكت تلكم الحمامة ام غنـ ـت على فرع غصنها المياد

صاح هذي قبورنا تملا الرحـ ـب فاين القبور من عهد عاد
خفف الوطأ ما اظن اديم الار ض الا من هذه الاجساد
وقبيح بنا وان قدم العهـ ـد هوان الاباء والاجداد
سر ان استطعت في الهواء رويدا لا اختيالا على رفات العباد
رب مجد قد صار لحدا مرارا ضاحكا من تزاحم الاضداد
تعب كلها الحياة فما اعـ ـجب الا من راغب في ازدياد
ضجعة الموت رقدة يستريح الـ ـجسم فيها والعيش مثل السهاد
ابنات الهديل اسعدن او عد ن قليل العزاء بالاسعاد
ايه لله دركن فانتـ ـن اللواتي تحسن حفظ الوداد
مانسيتن هالكا في الاوان الـ ـخال اودى من قبل هلك اياد
بيد اني لا ارتضي ما فعلتـ ـن واطواقكن في الاجياد
فتسلبن واستعرن جميعا من قميص الدجى ثياب حداد
ثم غردن في المآتم واندبـ ـن بشجو مع الغواني الخراد

سمعت صوت هذا النذير الصارخ ينبعث من ظلمة اللحد وسراديب اغوار الفناء ويخترق الاجيال قويا عاصفا في جلجلة راغية من ندبات الحزن وزفرات الحسرة. سمعت دعاء هذا النذير ورنت اجراس اصدائه المغمغة فملات اذنيك. واضطربت لها قليلا. واحتارت يقظات عقلك قليلا. وتساءلت في قرارة نفسك وفي سرك المحجب. ترى ماذا قال ابو العلاء ؟

ولكنك حين يطول بك التقصي والاستغراق سوف تضحك. وسوف تطيل الضحك. اذ تتكشف لعينيك مهزلة هذه الحياة. وهؤلاء الاحياء الذين يحصدهم الموت في غير ما شفقة او رفق. ألست ترى المعري واقفا على اطلال الخراب وعلى كثب من رحاب الفناء ينظر في خشعة الذهول والاعتبار. واطراقة الوجوم والحيرة. الى هذه الدنيا وما تكتظ به جنباتها من احداث السلم والحرب. وما يترامى في طولها وعرضها من رغائب وآمال. فاذا هو يضحك ساخرا. اذ تجلت له الحياة عن مهزلة مؤلمة اولها الفناء وآخرها الفناء. والاحياء في ظلامها وسبحاتها الاعيب لا قيمة لشيء من افراحهم واتراحهم. من بؤسهم ورخائهم من حربهم وسلمهم

من ثرائهم وفقرهم · من اعراسهم ومآتمهم · من قصورهم واكواخهم · من حبهم وعدائهم فالكل من الفناء والى الفناء · ومع ذلك فاست تجد من ينكر على نفسه ان شارك في احتمال هذه التجربة القاسية · ويمتد نظر المعري الى مجاهل الادهار الغابرة وينقاب الى غيوب الازمان المقبلة ويتأمل فاذا كل شيء من حوله يرتل انشودة الفناء ثقيلة كالظلام موحشة كالمقبرة جافة كالصخور فتذوى تلك الابتسامة الساخرة وتذبل على شفتيه وتذوب · وتتعلق باهداب عينيه دمعة حائرة ويناجي بنات الهديل · وقد طرب من نوح تغريدهن وكان يتعزى ببكائهن وهكذا سمعته يرتل قصيدة الحزين على تنغيم خاشع مبحوح من رعشات ترجيعهن وهكذا سمعته يصف لك تجربة الحياة من جانبها المظلم ويعرض عليك صورة من تشاؤمه فيغمر نفسك بفيض من الحزن ويبعث في دخيلتك مختلف الاحاسيس ولعلك ادركت منه ما لم ندرك ·

ومن دراستنا لهذا المثال يتضح لنا ان العنصر العاطفي يتركز على فكرة التشاؤم · وهكذا يمكن الاقتناع باطراد هذه القاعدة وهي ان النص الادبي كيف كان قصيدة شعر او ترسل نثر · رواية او مقالة · لابد ان يمد الفكر ويزود العقل بصور الحياة · وحقائق هذا الوجود · لابد ان يمدنا بمادة عقلية تزيد في ثروة الفكر وغنائه · واذن فالعنصر العقلي في فن الادب له اعظم اثر في تقدير قيمته · وبدون هذا العنصر العقلي يفتقد فن الادب ميزة الالهام · ويصبح جسدا لاحيوية فيه ولا نشاط · يقول العلامة النفساني الاستاذ « ادورت » في كتابه الحياة العقلية: « ان الفن قد يرضينا لانه يوحي الينا وحيا فكريا كما يتضح ذلك عندما نذكر في ان كثيرا من الاثار الفنية العظيمة تحتاج لمجهود فكري لكي نفهمها ونرتاح اليها فيجب ان تكون منتبها كل الانتباه لتتمكن من متابعة رواية من روايات شكسبير كما انك تحتاج الى ايجاد مغزى لصورة زيتية قبل تمكنك من التلذذ بها تلذذا عميقا » · وهكذا يكون استعمال الذكاء في لادراك والفهم واستعمال الخيال في بناء الصور والاشكال والالوان من القاري، وسيلة لتقليد الشاعر والدخول معه في عوالم الالهام وفي افق المناطق التي بذل مدخر الجهد في كشفها واعلان ما في غيوبها من جمال · وهذه المادة العقلية هي كل شيء يتلقاك حينما تقبل على النص اقبال استجلاء وتذوق · وفي عثورك على الصلة الجامعة لاجزاء القصيدة تكون قد وفقت الى ايجاد المغزى الذي تتطلبه في شوق وتود الحصول عليه في حرص ان الوجه الجامع لاجزاء الصورة هو المدخل الذي يتأدى بالقاري، الى حياة الشعر والى فهمها · والى محاولة تقليدها · واستدامة ما فيها من متعة ولذة وجمال ·

(يتبع)

الحركة الادبية

نشطت الحركة الادبية في ربوعنا شيئاما بعد ركود قضت به حوادث الحرب الغاشمة وشدة المراقبة وتقييد حرية الاجتماع فظهرت مجلة الثريا التي تقومُ بتحرير ها هيئة الاذاعة ويديرها الاديب السيد نور الدين بن محمود كاتب الاذاعة بالقسم العربي فنشرت مواضيع قيمة في الادب والتراجم كما نشرت قطعا من الادب العامي وهي طريقة ربما يكون لها تاثير لانوده على الادب العربي الفصيح . كما اصدرت كل من الصحيفتين اليوميتين - الزهرة والنهضة - عددا في كل اسبوع لنشر الادب التونسي والنهوض به وقد تولى تحرير هما جماعة من الشبان المولعين بالادب فتبارت اقلامهم وظهرت افكارهم للعيان ونطقت اشعارهم باحاسيس نفوسهم في شيء من الطموح وان قرأنا لبعضهم شيئا جميلا وافكارا صحيحة فان هذلك الشيء الكثير الاولى به عدم النشر واخيرا صدرت مجلة « المباحث » التي يقوم عليها الاديب السيد محمد البشروش ويتولى تحرير ها جماعة من المولعين بالادب والفن فنشكر السيد محمد البشروش ونتمنى للمشروع اطراد النجاح . هذا من ناحية النشر واما من ناحية الاذاعة فان حركتها لم يعترها ركود او خمول فهي متصلة بالدولة ويسهر عليها رجال امتازوا بالحزم والنشاط فلا غرابة اذا لم يصبها ما اصاب سواها الا انها في المدة الاخيرة وان كثر عدد المذيعين من العلماء والادباء بيد ان الحصة المخصصة لكل مذيع قليلة جدا ربما لا تترك له مجالا لايفاء الموضوع الذي طرقه حقه فلو كانت الحصة ١٥ دقيقة عوض ١٠ دقائق كما كان الامر قبل لكان حسنا وقد لاحظنا ان بعض المذيعين من يسرع في الالقاء حتى يفوت على السامعين ما يرغبون في سماعه كاملا غير منقوص والكل يعلم ان الذى دعا الى ذلك الاسراع قلة الوقت المعين للمذيع كما اننا نلاحظ للمذيعين ان لا يكثروا من ربط المحاضرة بمحاضرة اخرى ونرغب منهم ان تكون كل محاضرة تامة في ذاتها واذا كان الموضوع الذى طرقه يستدعي محاضرات متعددة فنرغب ان تكون كل محاضرة تشتمل على قسم لا يتوقف فهمه على القسم الذى قبله ولا على الذي ياتي بعده .

واما في الجمعيات ونوادي العلم والادب فان الخمول خيم عليها منذ سنوات اذا استثنينا جمعية الشبان المسلمين فانها في نشاطها المعتاد الامر الذى تشكر عليه الهيئة المديرة لها بله انها قامت باعمال جمة لم تقم بها من قبل وسجلت حسنات انتفع بها الخاص

والعام واقامت في موسم كل عام حفلاتها المعتادة بمناسبة ذكرى الهجرة وذكرى المولد الشريف ونحن نرجو لها دوام النشاط وحسن المعاضدة وفي هذه السنة شاركتها هيئة الاذاعة العربية فاقامت مهرجانا حافلا بمناسبة ذكرى الشاعر العبقري ابي العلاء المعري في المسرح البلدي عشية يوم الخميس في من شهر ربيع الانور الموافق من شهر مارس وكان الاحتفال بهيجا في منظره متواضعا في صوغه دام من الساعة الثالثة والنصف وانتهى على راس الساعة السادسة شارك فيه جماعة من العلماء والادباء واني احسب ان ذلك الركود الذي اعترى الجمعيات في مظهرها الادبي يرجع الى قيام المذياع بالمحاضرات فاغنى الجمعيات عن القيام بهذا العمل ولكن شتان بين العملين فانه لا يغني احدهما عن الاخر والكل يعلم ان ما يتمكن منه الاديب مع سعة الوقت لا يجده مع قلة الوقت اما الجمعية الخلدونية فانها رجعت في هذا العام الى طريقتها ورغبت من شيخ الادباء الاستاذ العربي الكبادي ليرجع الى منبره لقاعة لمحاضرات بالخلدونية فلبى النداء وتولى القاء محاضراته النفيسة في تاريخ الادب العربي التونسي يتولى حفظه الله دراساته بالتحليل والنقد وينثر على مستمعيه دررا من نفائس مختاراته بارك الله لنا فيه وامتعنا بطول حياته •

واما الجمعيتان - جمعية الزيتونيين - وجمعية قدماء الصادقية - فانهما الفتا الركود فعسى ان نراهما قد رجع لهما نشاطهما القديم •

اصلاح الاخطاء الواقعة

في الجزء الخامس من المجلد الخامس من المجلة الزيتونية

صفحة	عمود	سطر	خطا	صواب
٧٠		٥	ويمدهم	ويمدهم
٧٢		٢٠-٢١	كما هي في	كما هي عادتهم في
٧٣		٢١	قصرا	قصرا اذ ليست تعريف المسند باللام
٨٥	١	٩	قلاحيه	فلاحية
«	»	١٤	والفسنق	والفستق
«	»	١٩	والشم	واليشم
٩٢	١	١٣	الوزير بلان	المسيو بلان
«	»	١٩	الوزير بلان	المسيو بلان

(تنبيه) قد جاءت نقط بعض الحروف المنقوطة غير واضحة ولكن لا يخفى عن القراء تمييزها

« المجلة الزيتونية »

تقبل الاشتراك السنوي في كل وقت بالثمن المحدد وتحتسب السنة على وفق رغبة المشترك من اول المجلد فترسل له الاعداد التي صدرت او من تاريخ الاشتراك •

ملوك الدولة الحسينية

العدد الرتبي	الاسم	سنة الولادة	سنة الولاية	سنة الوفاة	المدة سنوات	اشهر	ايام	العمر سنوات
١	المولى حسين بن علي تركي	١٠٨٠	١١١٧	١١٥٣	٣٦			٧٣
٢	ابن اخيه علي باشا ابن محمد بن علي تركي	١١٠١	١١٥٣	١١٦٩	١٦			٦٨
٣	ابن عمه محمد الرشيد ابن حسين بن علي تركي	١١٢٢	١١٦٩	١١٧٢	٢	٠٦		٥٠
٤	أخوه الباشا علي باي	١١٢٤	١١٧٢	١١٩٦	٢٤			٧٢
٥	ابنه الباشا حمودة باي	١١٧٣	١١٩٦	١٢٢٩	٣٣	٠٣		٥٦
٦	اخوه الباشا عثمان باي	١١٧٦	١٢٢٩	١٢٣٠		٠٣		٥٤
٧	الباشا محمود باي بن محمد الرشيد بن حسين بن علي	١١٧٠	١٢٣٠	١٢٣٩	٩			٦٩
٨	ابنه الباشا حسين باي	١١٩٢	١٢٣٩	١٢٥١	١٢	٢		٥٩
٩	اخوه الباشا مصطفى باي	١٢٠١	١٢٥١	١٢٥٣	٢	٦		٥٢
١٠	ابن عمه المشير الاول احمد باشا باي	١٢٢١	١٢٥٣	١٢٧١	١٨	٢		٥٠
١١	ابن عمه المشير الثاني محمد باشا باي	١٢٢٦	١٢٧١	١١٧٦	٤	٥		٥٠
١٢	اخوه المشير الثالث محمد الصادق باشا باي	١٢٢٩	١٢٧٦	١٢٩٩	٢٣	١٠		٧١
١٣	اخوهما علي باشا باي	١٢٣٣	١٢٩٩	١٣٢٠	١٩	٢	١٩	٨٧

تابع لملوك الدولة الحسينية

العدد الرتبي	الاسم	سنة الولادة	سنة الولاية	سنة الوفاة	المدة سنوات	المدة اشهر	المدة ايام	العمر سنوات
١٤	ابنه محمد الهادي باشا باي	١٢٧١	١٣٢٠	١٣٢٤	٤	٠٠	١٣	٥٣
١٥	ابن عمه محمد الناصر باشا باي ابن محمد ابن حسين باي	١٢٧١	١٣٢٤	١٣٤٠	١٦	١٠	٢٧	٦٩
١٦	ابن عمه الباشا محمد الحبيب باي بن محمد المامون	١٢٧٥	١٣٤٧	١٣٤٧	٧			٦٧
١٧	ابن عمه الباشا احمد باي الثاني بن علي بن حسين باي	١٢٧٨	١٣٤٧	١٣٦١	١٣	٩		٨٣
١٨	محمد المنصف باشا باي ابن محمد الناصر باشا باي	١٢٩٨	١٣٦١			١١	٤	

— ١٩ —

صاحب المملكة التونسية

الجناب الارفع والكهف الامنع سيدنا ومولانا

★ محمد الامين باشا باي الاول ★

ادام الله عزه وعلاه

ولادته في التاسع من شوال المبارك عام ١٢٩٨ وجلوسه على العرش الملكي ١٠ جمادى الاولى ١٣٦٢

دام ملكه بين البرية وحماه الله من كل مكروه واذية